أحمد الجمل

دراماتوكسين 2

أحمد الجمل

دريم بن
للترجمة والنشر والتوزيع والطباعة

دار دريم بن للطباعة والنشر
العنوان: مدينة العبور – الحي السادس، فيلا 8، مدخل 1
هاتف: 1003288596 (0020)
بريد إلكتروني: dream.pen92@gmail.com

دراماتوكسين 2

أحمد الجمل

الطبعة الأولى، القاهرة 2021
غلاف: عمار جمال
مراجعة لغوية: هبة ممدوح
تنسيق وإخراج داخلي: لخضر بن الزهرة
رقم الإيداع: 20316 / 2021
I.S.B.N | 978-977-6794-50-4

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًّا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبِّر عن رأي كاتبها، و لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

أحمد الجمل

دراماتوكسين 2

(قصص)

دريم بن
للترجمة والنشر والتوزيع والطباعة

إهداء...

منذ عدة سنوات أعجب أحدهم بما سطرت من كلمات، أخبرني بأنه يحب أن يقرأ لي، من هنا كانت البداية؛ استرسلت في الكتابة، ثم أحببت الطريق وقررت أن أخطو السبيل حتى آخره، ربما كان إعجاب أحدهم هي الفرصة التي سُخِّرت لي لأبدأ وأكون؛ لذا لا تبخلوا بإخبار من تحبوهم بما يجول في خاطركم تجاههم، لربما كانت الفرص التي ينتظرونها معلقة على كلماتكم؛ ولذا أهدي هذا العمل المتواضع إليكم يا من كنتم سببًا في وجوده، فكنتم سببًا في وجودي، أحبكم وأكتب من أجلكم.

أحمد الجمل..

المقدمة...

دفءُ أشعة تلك الشمس، ووميضُ ذلك القمر الرائع ليلًا، تلك الرياح وهي تداعبُ الأشجارَ في الربيعِ، ورائحة المطر الممزوجة بذكرياتك الدفينة، وربما آلاف المشاعر الأخرى ليست كافية لتنجو سليمًا من قبح هذا العالم دون أن تترك بك دراما من نوعٍ خاص.

يومٌ حلوٌ ويومٌ مرٌّ، دائنٌ ومدانٌ، طيبٌ وشريرٌ، ظالمٌ ومظلومٌ، حيٌّ وميت؛ تلك هي الحياة. السمّ دائمًا يجري في أحداثها ليغيِّر مجراها فتتغيِّر منك دون حتى أن تشعر أنك تغيرت.

تلك التجارب يا سيدي هي التي صنعت ما أنت عليه الآن، وهي التي ستجعلك أنت في النهاية، وهي ما صنعت صفحات ذلك الكتاب بين يديك؛ لعلك تعلم ما آل إليه الآخرون، أو لعلَّك كنت واحدًا منهم من الأساس. دراما تعكِّر صفو حياتك كالسم الذي يسري في جسدك فيقتلك ببطء، وإذا كنت لا تحب القصص التي تتلو ذلك؛ فإنك ستحبها هكذا.

دراماتوكسين.

1 – س

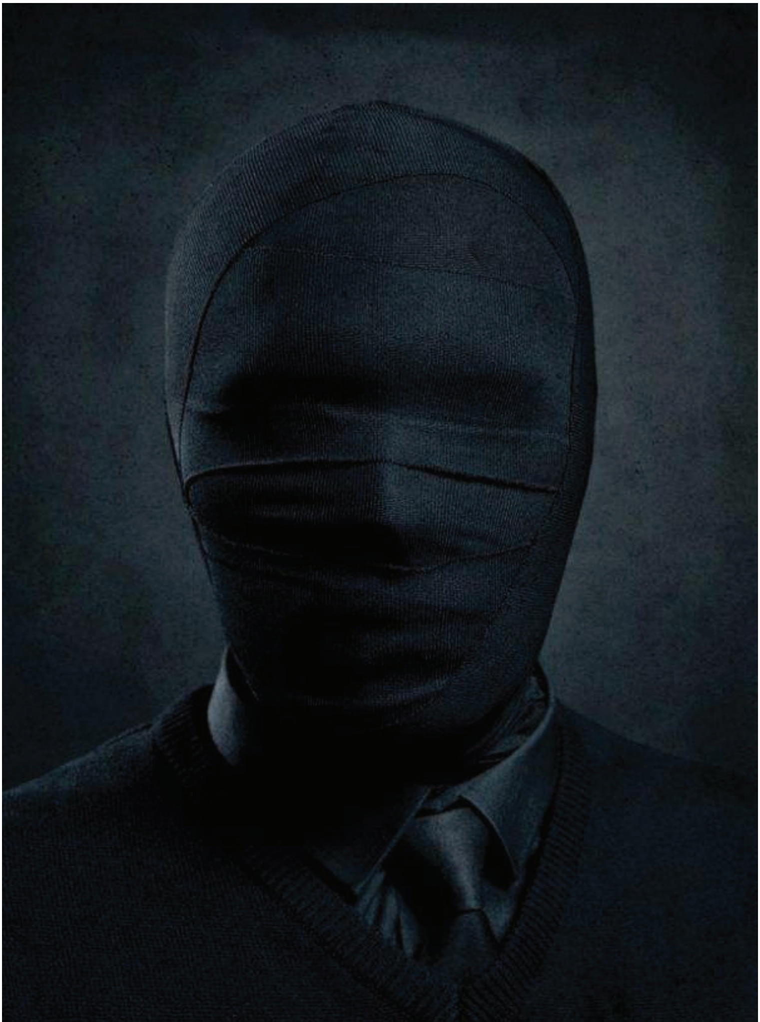

«س»

لا تُبنى قصصُ الخيالِ هكذا، لكلِّ قصة تبنتها عقولنا رواية حقيقة نبعت منها، نحن من نصنع الخيال بحقائقنا، ونحن من نجعل من الخيال حقيقة. كلُّ جريمة ارتكبها أحدهم تركت أثرًا وصنعت جديدًا، كلُّ جريمة كان لها أسبابها ودوافعها ونتائجها التي خلقت فارقًا، وبين أيدينا الآن قصصٌ لجرائم حدثت بالفعل وكنت شاهدًا عليها جميعًا، لا يهم زمانها ولا يهم مكانها ولا يهم اسم من ارتكبها، المهم أنها حدثت، والأهم أنها وصلت إليك؛ حتى لا تعتقد يومًا ما أنها دربًا من دروب الخيال، وإنما هي حقيقة كاملة لا بدّ من أن تعرفها وتتجنب حدوثها مرة أخرى، وأي تشابه فيما أرويه وبينك ليس بالضرورة أن يكون مقصودًا، فكلُّ حكاية أرويها هي لـ «س» من الناس.

القضية الأولى: القصة لم تنتهِ بعد.

«س»

سلسلة جديدة عن أحداثٍ وقعت بالفعل، كل أبطالها باسم واحد وهو: «س»

القضية الأولى: القصة لم تنتهِ بعد.

ثلاثة شهور مضت على ترك «س» لعمله كسائق عند أحد أشهر وأغنى صانعي الجلود بمدينة الإسكندرية. كان «س» قد تعب من كثرة بحثه عن وظيفة حتى وجد تلك الأخيرة التي تركها مؤخرًا بعد أن طرده صاحب العمل منها. «س» ابن مدينة طنطا، تخرج في إحدى الكليات بجامعة القاهرة، من أسرة متوسطة بسيطة، ووالدته متوفية، وليس لديه أي إخوة من ذات الأم، لكنه كان يملك من أبيه وزوجته الجديدة أربعة أخوة. صاحب العديد من الأثرياء في الجامعة، وكانوا يستغلونه لقضاء حاجتهم مقابل وجوده بينهم. رأى من الدنيا وقتها أيامًا جميلة، وكان أثر دخوله الجامعة بسيارة أصدقائه وسط الطلاب أثرًا جميلًا على نفسه، وأكسبه ذلك ثقة وسط زملائه كان في أشد الحاجة إليها حتى جاء اليوم الذي غيَّر حياته.

طلب منه أحد أصدقائه ركن السيارة، وحال قيامه بذلك زاحمه أحد الطلاب الآخرين في مكان الوقوف، فتشاجر معه إلى أن شتمه الآخر، فقام «س» بضربه حتى كاد يفقده وعيه، وتدخل الطلاب لفض تلك المشاجرة، وتوعَّده الآخر قبل أن يرحل. كان الآخر لسوء حظ «س» هو نجل مدير أمن القاهرة آنذاك. قبض على «س» في ذات اليوم وحكم عليه في قضية سرقة بالإكراه، لمدة خمس سنوات لم يزُره أحد ولم يعتني به أحد. خرج «س» بعدها ليكتشف أن حياته الجامعية والمهنية انتهت، وأن والده توفي أثناء سجنه ولم يخبره أحد. توجَّه بعدها إلى سكنه في طنطا ليكتشفَ

أن البيت كله أصبح لإخوته من زوجة والده، وأنهم تزوجوا فيه وليس له مكان به. بعد عدة صراعات خسرها انتقل إلى الإسكندرية مستسلمًا، وعمل على إحدى سيارات الأجرة عدة سنوات منتقلًا من سيارة إلى سيارة، يحوز قوت يومه وبيتًا قديمًا في إحدى الأماكن الشعبية يؤجره إلى أن جاءته الفرصة؛ ذلك العجوز صانع الجلود غيَّر حياة «س»، ربما إلى الأحسن وربما إلى الأسوأ، أيًّا ما يكن، فقد لاحت في الأفق بداية جديدة لـ «س» ونهاية كلٍّ منهما.

ثلاث سنوات هي التي عمل خلالهم «س» لدى هذا الرجل، كان ينقله من بيته إلى عمله ويأتي له بكلِّ طلباته ويوصله إلى منزله آخر الأمر، سائق خاص وخادم كانتا مهنتيه، وكانت أجرته تتجاوز الألفين جنيه. تزوج «س»، وأصبحت امرأته حاملًا في الشهر الخامس منه، وتحسنت حالته وهيئته قليلًا. كانت كل مشكلة هذا العجوز أنه بخيل نوعًا ما ودائم التعدي على عماله والعاملين لديه بالسبِّ؛ أحضِر هذا يا حيوان، لماذا تأخرت يا ابن كذا وكذا. وفي يوم طلب من «س» أن يذهب إلى القاهرة ليحضر بعض الأشياء، وعندما رجع طلب من العجوز مالًا على هذا العمل، فرفض بل ورفض أيضًا أن يعطيه أجره لهذا الشهر والذي قبله. عندما اعترض «س» نهره العجوز ووبَّخه وقام بطرده.

ثلاثة شهور يحاول فيها «س» البحث عن عمل جديد ولا يجد، ثلاثة شهور يحاول فيها «س» أخذ ما له من مال عند العجوز ولا ينجح في ذلك، اشتد الحمل على زوجته وباتت على وشك الولادة، ليس معه حتى قوت يومهم، طرأت الفكرة في رأسه وقرر الانتقام من العجوز وسرقته.

كان «س» على دراية بمكان منزل العجوز ومواعيده، ذهب إلى العقار الذي يسكن به، راقبه من بعيد حتى غاب الحارس عن بوابته، دخل مسرعًا واستقل الصاعد حتى الطابق الحادي عشر، جلس على سلم العمارة منتظرًا العجوز، كان العجوز يسكن هذا المنزل رفقة زوجته التي تعاني من مرض الفيل ولا تستطيع الحركة وحدها، بينما كان كل أولاده متزوجين ويسكنون في منازل أخرى بعيدًا عنه. سمع «س» صوت العجوز وهو يفتح باب الصاعد بعد أن وصل، بينما كان يختبئ له أسفل السلم، فتح الرجل الباب وقبل إغلاقه وجد «س» أمامه مباشرة، أخبره «س» أنه يريد ماله، شتمه العجوز وأخبره بالانصراف، دفعه «س» إلى داخل المنزل وأسقطه أرضًا وأغلق الباب خلفه، ثم أخرج سكينًا من بين طيات ملابسه، ونزل به على العجوز محاولًا طعنه. قاوم العجوز كثيرًا وهو ينادي على زوجته التي سمعت الصراخ وحاولت التحرك ببطء للخارج، وقفت العجوز تشاهد زوجها الذي بدأت تخور قواه تحت يد «س» عاجزة، لا هي تستطيع الحركة، ولا هي قادرة على الصراخ. اتجهت ببطء إلى حيث توجد غرفتها للاتصال بأحدهم لإنقاذهم. كان العجوز قد خارت قواه وكان «س» تمكَّن منه وانهال عليه بالطعن في صدره ورقبته عدة طعنات؛ حتى بات يحتضر تمامًا، ثم اتجه سريعًا إلى حيث اتجهت زوجته، كانت قد وصلت إلى باب غرفتها فعاجلها بالطعن هي الأخرى في رقبتها وظهرها؛ حتى وقعت أرضًا، ثم وقف مذهولًا لا يدري ما حدث، كان كل شيء سريعًا، استغرق دقائق في التفكير وهو يجري كالمجنون داخل الشقة كيف ينهي ذلك الموقف! هداه تفكيره إلى سرقة ما يستطيع سرقته، ثم يقوم

بإحراق الشقة حتى تختفي كل دلائل وجوده. ألفان وثمان مائة جنيهٍ هو كل ما أخذه أو كل ما وجده، وهاتف «أيفون» كان على إحدى المناضد، بالإضافة إلى عدة مشغولات ذهبية كانت واضحة أمامه. قام بإشعال النيران بعدها في غرفة زوجة العجوز؛ في الستائر، والأريكة، والسرير. وانتشرت بسرعة البرق لتنال أجزاء أخرى من الشقة واسعة الأرجاء؛ حيث كانت دورًا بأكمله، وتتجاوز الثلاثمائة مترًا. بدأت رائحة الحريق في الانتشار، تناول أحد المعاطف الخاصة بالعجوز ووضعه على رأسه، وخرج من المنزل مسرعًا على سلم العقار. من حسن حظه أنَّ الحارس استقل الصاعد لأن السكان أبلغوا عن الرائحة، وضع المعطف على وجهه حال خروجه من العقار حتى لا تنال منه الكاميرات التي كان يعرف مكانها مسبقًا وهرب.

كانت تلك الحادثة مروعة بكل تأكيد، انتقلت والقوة المرافقة إلى المنزل بعد أن أنهت المطافئ والأدلة الجنائية عملها، كانت الرائحة بشعة، ومنظر الدماء صعب على العين، وكانت جثة زوجة العجوز نصفها محترقًا وأثر الطعنات ما زالت عليهم واضحة.

لم يكن يعلم «س» أنه أثناء معاينتنا للشقة وجدنا بداخلها ما يقرب من تسعة عشر مليون جنيه، كان العجوز يحب أن يحتفظ بماله داخل الشقة، بالإضافة إلى العديد والعديد من المشغولات الذهبية. لم يكن يعلم أنه أنهى حياة العجوزين وحياته من بعدهما، وحرم نفسه من رؤية ابنه دون مقابل يُذكر. راجعنا الكاميرات، لم نستدل على وجهه، سألنا الجيران وعشرات الشهود ولم نصل إليه، أحضرنا أولاده ولم يذكر أحدٌ منهم أن والده لديه خصومة مع

أحدهم. لم يأتِ «س» في بال أحدهم لذكره، فهو ترك العمل منذ عدة شهور وهو بالنسبة إليهم لا قيمة له ليلقوا له بالًا.

سيجارة، مجرد سيجارة شربها المتَّهم على السلم أثناء انتظاره قدوم الرجل العجوز لمنزله هي من أوصلتنا إليه. أخذت الأدلة الجنائية السيجارة ورفعت البصمات من عليها وأوصلتنا إلى القاتل «س».

عند مواجهته لم ينكر وحكى الجريمة تفصيلًا غير مصدقٍ أنه ارتكبها، اصطحبته مرة أخرى للمعاينة التصويرية، وشرح ما حدث تفصيلًا. كان يبكي عند ذلك، ثم ضحك كثيرًا، ثم انهار من البكاء. حكى لي قصته كاملة، كانت مؤثرة، وكان مجرمًا في نهايتها، ولما كان لا بد وأن يأخذ جزاءه، لكنه أعطى لي درسًا وحكمة سأعطيها لكم.

أعطوا الأجير حقه، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعاملوا الناس إلا كما تحبون أن تعاملوا قولًا وفعلًا؛ فمعظم النار من مستصغر الشرر، وربما حركة بسيطة، وفعلٌ صغيرٌ في حياتك يؤدي إلى نهايتها.

تم الحكم على «س» بالإعدام شنقًا من الجلسة الأولى.

منذ شهور قليلة فائتة حضرت لي إحدى السيدات إلى مكتبي وطلبت الدخول، أدخلتها وكانت سيدة بسيطة الملابس، وعلى يدها كانت تحمل طفلًا صغيرًا، قلت لها:

– ما طلبك؟

أخبرتني أنها زوجة «س» وأنه أعدم من خمسة أيام وقامت بدفنه، استغربت مجيئها وسألتها مجددًا:

– وما طلبك؟

أجابت:

– زوجي أخبرني قبل إعدامه أن آتى إليك عقب تنفيذ الحكم، وأخبرك أنه يشكرك.

استغربت جدا من قولها؛ فأنا آخر واحد على الكوكب يتمنى أن يشكره بعد الحكم الذي ناله، فقلت لها:

– على ماذا؟

– يشكرك على أنه وجد نفسه وسامحها، ويشعر أن الله سيغفر له بعد أن ينال عقابه، وأخبرني نصًا أنه ما حكى حكايته وقصته الكاملة إلا لك؛ وذلك لحسن معاملتك له رغم كونه متهمًا في ذلك.

لم أرها مجددًا، ولكنني علمت بعد ذلك أنها تعمل مساعدة في أحد المنازل، وتتقاضى راتبًا جيدًا لتصرف به على نجلها.

«س» أخذ جزائه، والعجوز وزوجته انتهت قصتهما إلى الأبد إلا إن القصة لم تنتهِ بعد.

القضية الثانية: «بأي ذنب قتلت»؟

«س»

سلسلة جديدة لأحداثٍ وقعت بالفعل،
كلُّ أبطالها ذوو اسم واحد وهو: «س».

القضية الثانية: «بأي ذنب قتلت»؟

قصة حقيقية..

لم تتعدَ سنوات عمره الخمسة عشر عامًا، ولكنه يمتلك عقلًا إجراميًا شديدَ الخطورة، يقيم مع أخواله في منزلهم بإحدى القرى التابعة لمحافظة البحيرة، البيوت الريفية على شاكلتها المعروفة هو ما كان يقيم به، منزل مكون من ثلاثة طوابق؛ يقيم في الأول منه جدة «س»، وخاله، وزوجة خاله، وبنتهما الصغيرة، والباقي من الطابق مخصصٌ لرعاية إحدى الأبقار، والطابق الثاني يقيم به خاله الآخر وزوجته رفقة بناتهم الصغار، بينما كان الثالث تقيم فيه خالته المعاقة بمفردها. أسرة كأي أسرة ريفية، تبدو علاقتهم ببعض هادئة ومستقرة، كان «س» وسطهم تاركًا بيت والده ويقيم معهم؛ نظرًا لأنه يعمل رفقة خاله الأكبر في إحدى المزارع أمام البيت مباشرة. كان هذا سبب كافٍ لإقامة «س» مع خاله في منزله، كما إنه ليس هناك خوفٌ من ذلك، فهو ما زال طفلًا، وبنت خاله الصغيرة لا تتعدى الثلاث سنوات من عمرها، شملوه برعايتهم وربوه كما لو كان ابنهم، وكما يقولون: «وقد كان»، فإن خاله هو والده في هذا المنزل.

كانت الأمور تسير على ما يرام كعادتها في ذلك المنزل البسيط، يقوم «س» من نومه مبكرًا ليعمل في الأرض أمام المنزل، ويذهب الخال الأكبر لعمله، وكذا يذهب خاله المقيم في الطابق الثاني لعمله في برج العرب من السادسة صباحًا حتى السادسة مساء، وطوال اليوم كان الأطفال الصغار يلعبون مع بعضهم البعض.

كل تلك المعلومات البسيطة عرفتها في اليوم الثاني من شهر رمضان لإحدى السنوات الفائتة حين تلقيت اتصالًا من رئيسي في العمل، يخبرني بمقتل طفلة في الثالثة من عمرها بإحدى القرى ذبحًا، وضرورة انتقالي لمعاينة الجثمان ومسرح الجريمة. لم يمر كثيرًا من الوقت حتى كنتُ بجوار جثة المجني عليها، كانت الطفلة جميلة رغم ما بها وكان المنظر بشعًا؛ عدة طعنات في الرقبة، وذبحٌ كبيرٌ، بالإضافة إلى قطع في أوتار يدها، وعدة جروح أخرى. يبدو أنها وعلى صغر سنها كانت تقاوم، لم تكن تدرك معنى الموت، ولكنها بالتأكيد رغبت في الحياة، كانت الطفلة نجلة خال «س» الكبير المقيم في الطابق الأول، وكان مشهد العائلة جميعها وهي تقف من بعيد تراقبنا منهارة من البكاء تقشعر له أبداننا. كانت نجلتهم الوحيدة وكان الأمر جلل. استغرقنا ساعات وساعات في مناقشة الأهلية؛ الوالد، والوالدة، وباقي من في المنزل بما فيهم «س»، بالطبع لم يكن الأمر سهلًا، ولم تشر أصابع الاتهام إلى أحدهم. كان «س» يتمتع بثبات انفعالي رهيب وذكاء خارق في ترتيب أحداث يومه.. لكنه طفل، مجرد طفل، تناقض مرتين واختل تفكيره تحت ضغط الساعات ومرورها حتى اعترف.

كانت روايته الأولى:

إنه رأى الطفلة صباح يوم الحادثة واقفة أمام المنزل وحيدة، اقترب منها، حاول تقبيلها نفرت منه، حاول مرة أخرى؛ فهددته بأن تخبر أباها، خاف أن تفعل ذلك. ذهب إلى بيت جدته واستل سكينًا من أعلى الثلاجة، واستدرج الطفلة إلى حيث قتلها خلف الجامع خوفًا من أن تفشي أمره إلى والدها، وأجهز عليها بتلك الطريقة

ثم ذهب إلى منزل جدته وغسل السكين ووضعه فوق الثلاجة مرة أخرى.

رواية الطفل تبدو منطقية؛ وخصوصًا إنها من طفلٍ لم نعهد في مثل سنِّه بذكاء يجعله يؤلف رواية غير صحيحة وبهذا التسلسل. ها هي القضية بدأت تنكشف أوراقها أمامنا، أخذنا الطفل صحبتنا إلى مقر النيابة؛ حيث استغرقنا ساعات أخرى في أخذ أقواله بالتحقيقات وسط اندهاشات من أهليته التي باتت لا تصدق ما حدث منها، أثناء التحقيق انتبهت إلى أن ملابس الطفل لا توجد عليها نقطة دماء واحدة، على الرغم من إنه ذات اليوم الذي ارتكب فيه الجريمة، وعلى الرغم من إن دماء الطفلة الذكية لا بد وأن تكون قد طالت ملابسه؛ نظرًا لكثرتها وانتشارها في مكان الجريمة، واجهته.. أنكر وأصرَّ وأوقفت التحقيقات، وعدنا للبحث في كامل المنزل مرة أخرى، وبعد مرور ساعتين وجدنا ملابس الطفل تغطيها الدماء أسفل إحدى الأرائك في بيت خاله الآخر بالطابق الثاني هناك؛ إذن من يعلم بالجريمة، هناك أمرٌ خاطئٌ، كيف دخل الطفل بمفرده إلى منزل خاله الثاني ليترك ملابسه دون ملاحظتهم؟ ولماذا لم يدلوا بذلك حال التحقيق معهم؟

كما إن خاله ذاك لم يكن متواجدًا، إذ إنه كما ذكرت يذهب من السادسة صباحًا إلى عمله ببرج العرب وحتى انتهاء اليوم.

دارت العديد من الأسئلة في ذهني، وكل إجابتها لم تكن عندي، بالتأكيد الطفل لديه الإجابة.

ذهبت إلى مقرّ عملي مجددًا، وكان الوقت اقترب من أذان الفجر، فتسحَّرت وأكملت التحقيق، مرت حوالي ساعة أواجه

الطفل بما يدور في بالي، حتى تناقض واختل تفكيره مجددًا وترك روايته القديمة وأخبرني بالحقيقة كاملة، وكانت الصدمة.

«س» على علاقة بزوجة خاله المقيمة في الطابق الثاني، نعم ذلك الطفل الذي نتحدث عنه، عندما ذهب زوجها في نهار ثاني أيام رمضان إلى عمله رأته الزوجة «س» واقفًا أسفل المنزل أمام المزرعة، نادته فصعد إليها ودخلا إلى غرفة النوم معًا، تجردا من ملابسهما وشرعا في ممارسة الرذيلة. بالطبع لم تكن المرة الأولى، كانت أطفالها مستغرقة في النوم بالغرفة المجاورة، لسوء حظ الطفلة المجني عليها المقيمة في الطابق الأول أنها استيقظت مبكرًا وصعدت للطابق الثاني لتلعب مع أولاد عمها، باب الشقة به مشكلة لا يقفل بطريقة جيدة، بحيث يظهر من الخارج أن الباب مغلقٌ، لكن إذا قمت بالضغط عليه يفتح مباشرة. وهذا ما قامت به الطفلة المسكينة؛ دخلت إلى الشقة باحثة عن أولاد عمها، تنامى إلى سمعها صوت زوجة عمها، دخلت الغرفة ووجدت «س» رفقة زوجة عمها عراة على سرير واحد، شردت الطفلة وشرعت في الجري خارجًا. أفاق «س» وخليلته مصدومين، ارتبكا وخافا من افتضاح أمرهما، تخللت إلى رأسهما تلك الفكرة الشيطانية، وعدت المرأة «س» بمبلغٍ ماليٍّ إذا تخلص من الطفلة، أعطته مائة جنيهٍ بداية حرضته على قتلها، ارتدى ملابسه واتجه مسرعًا حيث السكين في منزل جدته، واستدرج الطفلة مدعيًا أخذها إلى والدتها في السوق، صدقته المسكينة ذات الثلاث أعوام، التي لا تتكلم بطلاقة في الأساس وذهبت معه فرحة. أخذها خلف الجامع في ممرٍ ضيقٍ وذبحها بعد أن طعنها وقطع جزءًا من يدها لتنهار الدماء من شريانها وتفيض روحها البريئة إلى الله،

تاركًا إياها لبارئها الذي أنقذها بصعود روحها إليه بعيدًا عن هذا العالم الدنيء غير المنصف، وبعيدًا عن تلك الأرواح الخبيثة التي لا تستحق الحياة. ذهب «س» مسرعًا مرة أخرى إلى منزل زوجة خاله، وخلع ملابسه التي عليها آثار الدماء لتواريها هي عن الأنظار وأعطته مائة جنيهٍ أخرى، ونزل مسرعًا لتغيير ملابسه وغسل السكين.

كانت القضية صعبة، وكان الحدث مؤلمًا، ونال «س» وشريكته ما يستحقان من جزاء، ولكن انهارت الأسرة وتصدَّع بنيانها، وظهر في الأفق ملامح شيطانٍ يضحك رغم تسلسله في الشهر الكريم على ما وصلت إليه النفس البشرية من دناءة لم يكن هو يتصورها. انهارت أخلاقنا حتى تدنَّت نفوسنا لارتكاب الكبائر مجتمعة بكل سلاسة في نهار الشهر الكريم، دون أدنى اعتبار لقيم الأسرة والدين والأخلاق، ودون أدنى مبالاة لرَوْح طفلة كانت تحلم فقط بأن تلعب وتفرح وتكبر وسط أسرتها الصغيرة، لعل ما حدث رحمة لها من بقائها، ولعلها في مكانٍ تلعب وتفرح فيه الآن دون خوف أو دماء. ولعل ما يحدث لنا الآن هو ذنبُ روحها البريئة التي ستظل تلعن الإنسان بجشعه وغروره وقذارته حتى تقوم الساعة.

جئنا بحقك يا صغيرتي، ولنجعل الباقي لله.

القضية الثالثة: في الطريق إلى التيك توك.

«س»

سلسلة جديدة لأحداث وقعت بالفعل،
كل أبطالها لهم اسم واحد وهو: «س».

القضية الثالثة: في الطريق إلى التيك توك.

قصة حقيقية.

القبض على فتاةٍ جديدة من فتيات التيك توك، واتهامها بممارسة الرذيلة والتحريض على الفسق.

خبرٌ قرأتُه عدةَ مراتٍ في الآونة السابقة على عديد من الجرائد وبيانات النيابة العامة التي تصدر بشأنها، وكان الأمر اعتياديا بالنسبة إلي، وبحكم عملي فعادة ما يتم الإمساك بهن عقب مراقبتهن وتسجيل نشاطهن وإجراء التحريات اللازمة بشأنهن.

حتى شاهدتُ خبرَ القبض عليها، ورأيت صورتها تملأ كل الجرائد. نعم، هي تلك الفتاة التي أعرف ماضيها جيدًا: «س».

***

لكل نهاية بداية، وكانت البداية منذ خمس سنوات مضت، عندما تقدمتْ «س» ووالدها إلى قسم الشرطة لتحرير بلاغٍ ضد أحدهم لاتهامه باغتصابها وهتك عرضها.

استدرجها إلى شقته مقنعًا إياها بأنهم سيجلسون سويًا للمذاكرة، ثم اعتدى عليها هاتكًا عرضها واغتصبها كرهًا عنها. هذه كانت الرواية.

بالطبع صدر أمرُ ضبطٍ وإحضارٍ للمتهم، وتم تنفيذه.

للوهلة الأولى تخيلنا أن ينكر ما وجِّه إليه من اتهاماتٍ، لكنه ضرب بتلك الاتهامات عرض الحائط وأسقطها عن نفسه.

أقرَّ المتهم بأنه واقعٌ «س» عدة مرات برغبتها، وقدم عددًا من الصور والفيديوهات والتسجيلات والمحادثات التي تفيد ذلك، وأنه

على علاقة معها منذ فترة، وأن كل ما تمّ حدث برغبتها المطلقة، وأن بلاغ «س» ووالدها ما هو إلا وسيلة للضغط عليه للزواج منها، وأنه عندما رفض نظرًا لتعدد علاقاتها قاموا بالإبلاغ عنه.

عندما حضرت الفتاة ووالدها مرة أخرى قمنا بمواجهتهما بما أدلاه المتهم، ومع الأدلة المتاحة والمقدمة منه، بدأت أقوالهم تتناقض حتى أقرّوا بمعظم ما قاله، وبدا على الفتاة أنها لا تستطيع التحدث أمام والدها، وكان ذلك واضحًا عليها تمامًا. أخرجنا والدها، ثم انهارت من البكاء، هدأت ثم بدأت في قصِّ حكايتها. لم نكن حتى في حاجة إلى سؤالها، كانت في أشد الحاجة للحكي، وها قد لاقت سبيلها إليه.

«س» من أسرة ثرية، يعمل والدها تاجرًا كبيرًا للسيارات، وكذلك والدتها لم تكن من الطبقات المتوسطة، حتى ورغم أن علاقة والدها بوالدتها كانت بدايتها علاقة حب لكن ذلك لم يستمر طويلًا.

عقب ولادة «س» وبداية إدراكها للحياة ولهما، بدأت الخلافات تدبُّ فيما بين والدها ووالدتها، اشتدت حتى احتدت علاقتهما وانفصلا عن بعضهما البعض.

ظلت «س» وأخوها في المنزل مع والدهما، بينما انتقلت الأم للقاهرة لتعيش فيها.

كبرت «س» وكبر معها جسمها، وغابت رعاية الأم والأب، وغاب كل شيء عنهما، فكان الشيطان جليسها وأخوها في المنزل، حاول أخوها التحرش بها عدة مرات، أخبرت أباها: عنفها وضربها، وأخبرها أن ذلك إن كان صحيحًا فلتتركه. حتى والدها حاول معها

لأول مرة، كان تشعر أن حضنه ليس حنانًا وأن جسمها أصبح ليس ملكًا لها.

ذهبت إلى والدتها وحكت ما حدث، فوجئت بأنها تتكلم مع شبابٍ آخرين، طلبها والدها للرجوع إلى المنزل رغمًا عنها، طردتها والدتها بُعدًا عن المشاكل وعن زوجها السابق.

وإذا كان ربُّ البيت بالدف ضارب فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.

غابت الأسرة وغاب الأمان، وانهارت بحثًا عن حلٍّ حتى ارتمت في أحضان الآخرين بحثًا عن كل ذلك.

كانت تبحث عمَّن ينجدها أو يأخذ بيدها، كانت تقع باحثة عن كل ذلك في الكلام المعسول والوعود الكاذبة، بينما كان يبحث الآخرون عن شهوتهم التي وجدوها بين ثنايا جسدها ورغبتها الشابة الجامحة في سماع ذلك الكلام، والدفء بين تلك الأحضان.

لم يتزوجها أحدهم، ولم يستمر أي منهم في علاقة جادة معها، حتى تلك الواقعة التي أبلغت عنها رفقة والدها أنكرتها، وأقرت بكل ما قاله المتهم، وأيَّدت ما قدمته يداه من أدلة.

أصرَّت على عدم ذكر كل ما أدلت به في التحقيقات. لم تتهم والدها، ولا أخاها، ولا والدتها، ولا أيًّا ممن خدعوها. لم تتهم أحدًا، وكان سنها قد تخطى الثامنة عشر ميلاديًا، حال ارتكاب المتهم الأساسي في تلك القضية فعلته معها وكان ذلك برضا منها.

انتهت القضية في مرحلة ما، وكنَّا حينها نعرف أنها تركت والدها مجددًا وانتقلت للعيش في القاهرة مع والدتها، ثم هربت منها إلى

حيث سكنت مع صديقات تشبه حالتهن حالتها في منزل بمفردهن.

انقطعت الأخبار عنها منذ ذلك الحين، لكن لم تمر سنة على انتهاء الأوراق حتى فوجئنا بها تطل على تطبيق التيك توك وغيره، باحثة عن الشهرة مثلها مثل الكثير؛ ترقص هنا، وتلتقط الصور هناك. غابت عن عينيها تلك النظرات المليئة بالحزن والدموع المنهارة، في سبيل انتهاء أحلامها والحياة التي كانت يومًا تريد أن تعيشها إلى حياة أخرى بعيدة كل البعد عن أحلام الطفولة وبراءتها.

أهملها القريبون؛ فاعتادت الغرباء، وباعها الأقربون؛ فباعت نفسها إلى غيرهم.

كانت آخر الأخبار المتداولة بشأنها هو تسريب مقاطع جنسية مصورة لها، لعل والدها يخبرها الآن أن تترك نفسها لهم جميعًا كما تركها لأخيها يداعبها، وترك نفسه مع نجلته يدمرها، ويصنع منها وحشًا آخر، ويغير ملامح براءتها، ولكنه لن يستطيع ذلك بأي حال؛ فقد نما إلى علمنا أن والدها أصابه الشلل منذ عدة شهور.

***

في الطريق إلى التيك توك، كسبت «س» الشهرة والمال والسيارة والصحبة التي تشبهها، وفي المقابل خسرت كل شيءٍ؛ الأمان، والحب، والأهل، والعرض، وحتى الشرف.

تم القبض على «س»، وفي كل الأنحاء نجد «س» أخرى، «س» أجرمت وهي الآن تنال عقابها، ولكن كم «س» بيننا كانت نتاج للتفكك الأسري والعنف الجنسي والاستغلال وغياب الأهل والوعي الديني؟

كم «س» بيننا فقدت حنانًا وعطفًا، فقدت أبًا وأمًا وأخًا وأضحت ضعيفة ولقمة سائغة يتناولها كل آتٍ دون أدنى اعتبار لإنسانيتها، وأصبحت جانية ومجنيًا عليها في طريقها الآخر، في الطريق إلى التيك توك.

القضية الرابعة: اغتصاب زوجة.

«س»

سلسلة جديدة لأحداث وقعت بالفعل،
كل أبطالها لهم اسم واحد وهو: «س».

القضية الرابعة: اغتصاب زوجة.

قصة حقيقية

حتى آخر العمر وحتى النفس الأخير لي سأظل أحبك. كلماتٌ رائعةٌ كالمعتاد، تنطق بها ألسنةُ البعض، ربما كانوا وقتها يقصدون معناها، وربما كانت مجرد كلمات لا أكثر.

كانت تلك الكلمات التي نطق بها «س» إلى زوجته هي بداية قصتهما. «س» شابٌ من أسرة متوسطة الثراء، انتهى من دراسته الجامعية وأصبح مهندسًا بإحدى شركات البترول، وهناك تعرف عليها، زوجته كانت جميلة وبحقٍ لم يكن هناك ما يمنعه من الزواج بها، فحالته ميسورة وراتبه ليس سيِّئًا، وكذلك هي. كما أن شقته جاهزة، تلك الشقة التي اشتراها والده وكانت ملكًا له، لن يبخل بها على ولده للزواج بكل تأكيد.

كانت الفرحة عارمة، وكان المستقبل مُشرقًا أمام كلٍّ منهما، تمت الأمور سريعًا، وتزوج «س» ضحيته المسكينة التي لم تكن تعلم أن الحياة لن تستقيم معها طيلة الوقت. أنجبت الزوجة من «س» ولدين، وظلت مستقرة مطمئنة آمنة طيلة أربعة أعوام من زواجها. لاحت أمام الزوجة فرصة عظيمة للعمل في إحدى شركات البترول بدولة عربية، لم تقبل حتى استطاعت الحصول على عرض آخر لزوجها حتى يتمكنا من السفر معًا رفقة أولادهما، وحتى يكتمل استقرار حياتهما. شكرها زوجها بالطبع، وقدر لها موقفها من اهتمامها به، وبالفعل سافرا إلى هناك وانتظمت الحياة فترة من الوقت حتى لاحت لهم أول مشكلة في الأفق.

أخبر «س» زوجته أن والده يريد الشقة الخاصة به، فأجابته بالرفض طبعًا. إنها شقة الزوجية وليس لهم غيرها بداخل مصر، كما أن مصاريف أولادهما الدراسية لا تسمح لهما بشراء شقة جديدة. اقتنع «س» بكلامها ولكنه كان أضعف من أن يواجه والده بذلك، ولماذا يقدم والده على ذلك من الأساس طالما أعطاه الشقة ليتزوج بها وجهزها؛ لذلك أخبره برفض زوجته، ثم أخبر زوجته بإصرار والده حتى باتت مشكلة حقيقية تواجهها وتؤرق نومها من أجلها وأجل أطفالها. جاءت الإجازة السنوية الخاصة بـ(س)، أخبر زوجته بضرورة نزوله إلى مصر حتى يجد حلا لذلك مع والده، وافقت المسكينة بالطبع. شهرًا كاملًا قضاه زوجها في مصر حتى قدم إليها مرة أخرى.

أخبرها بأن المشكلة زالت ولا يجب عليها أن تقلق مجددًا، وأن والده وافق واقتنع بأن ذلك خطأ تام. عدة شهور قضاها بعدها رفقة زوجته وأولاده يمارس معها الحب كأي زوجين، إلى أن أخبرها بأن عملًا آخر سيقدم عليه في بلد مجاور، وأن الراتب أحسن بكثير من راتبه الآن. وبالطبع سيشكل ذلك فارقًا في حياتهما، وافقت بالطبع من أجل أولادها، تركهم وفارق زوجته وأولاده عدة شهور دون إجازة واحدة لهم. جاءت الإجازة السنوية لها، كلمته للنزول إلى مصر، تعلل بأن عمله الجديد لن يسمح له بإجازة في ذلك الوقت، استسمحته بالنزول لمصر وافق، وأنهى المكالمة دون وداعٍ. جاءت إلى مصر واتجهت رفقة أولادها إلى بيتها.

قابلت حارس العقار أسفل المنزل وأخبرته بحمل الحقائب حتى أعلى، وجاء الرد الصادم منه:

– إلى أين يا سيدتي؟ لقد جاء زوجك منذ فترة وقام ببيع الشقة هو ووالده.

هلعت بالطبع وتركت الأولاد والحقائب وصعدت مهرولة إلى حيث بيتها، وجدت بابًا حديديًا على باب الشقة، حاولت فتح الكالون لكنه لم يفتح، هاتفت زوجها؛ وجدت هاتفه مغلقًا.

كيف حدث ذلك؟

اعتقدت لوهلة أنها في حلم، بل كابوس فظيع.. أين تذهب؟ أين تبيت رفقة أولادها؟

لقد توفى والدها منذ زمن وانتقلت والدتها إلى تونس منذ فترة. ما هذا الذي يحدث؟ كيف لأب يترك أولاده هكذا، وكيف لجد لا يؤمن منزلا لأحفاده وينتزعه منهم؟ أي مبدأ يحكم تلك العلاقات الإنسانية الهشة؟

باتت ليلتها وأولادها في أحد الفنادق باكية، ولكنها عزمت على أخذ حقها.

في اليوم التالي ذهبت لاستخراج صورة من عقد زواجها حتى يتسنى لها تحرير محضر تمكين من مسكن الزوجية، وكانت الصاعقة الكبرى: لقد طلقها زوجها منذ عدة شهور دون أن تعلم.

كيف لهذا الوغد أن يفعل ذلك بي وأولادي؟

تبًا، لقد عاشرني معاشرة الأزواج دون أن أكون على ذمته.

اسودت الدنيا في وجهها، وتغير الحال من سيئ إلى أسوأ على الإطلاق.

كانت الزوجة أمامي في مكتبي تقص عليَّ قصتها الفائتة، وأنا مندهش من غرابة ما تحكي، غير مصدق وجود حيوانات كثيرة يحسبون أنهم بيننا بشرٌ.

قاطع تفكيري صوت بكائها مجددًا فسألتها:

– وبمَ تتهمين زوجك؟

فقالت:

– باغتصابي.

وكانت محقة، لقد اغتصبها ذلك اللعين بتدليسٍ وغشٍ منه اعتقادًا منها أنها ما زالت على ذمته، وبالتالي انعدمت إرادتها؛ إذ إنها لو تعلم لرفضت الرضا الناتج عن الغش والتدليس ليس برضًا.

قاعدة قانونية ودينية ليس عليها أي غبار.

أسرعت في إجراءات التحقيق رغبة في إنصاف تلك المسكينة، أثبت طلاقها دون علم منها، ومعاشرة زوجها لها بعدة صور التقطت لهما حال الطلاق تنم بما لا يدع مجالًا للشك عدم علمها وتعايشهم حياة طبيعية مع بعضهم البعض، تاريخ دخولها وزوجها وخروجهم من البلاد، ما حدث للشقة، وتاريخ البيع وتوقيته، كل ما حدث تم إثباته وتدوينه.

انتهت القضية؛ تم حبس الزوج سبع سنوات في حكم نهائي بات بمواقعة أنثى دون رضاها إذ أصبح رضاها؛ معيبًا بناء على الغش والتدليس. استردت الزوجة وأولادها شقة الزوجية مرة أخرى لكنها لم تسترد الأمان، ولم تسترد الثقة.

لم يعد هناك مجالٌ في حياتها أن تصدق كلمات وغدٍ آخر يخبرها بأنه لآخر العمر وحتى آخر نفس سيظل معها، ذلك البغيض الذي باع زوجته من أجل شقة لأبيه وبعض النقود البالية، لم ولن يكون أبدًا إنسانًا.

جاءت الزوجة إلى مكتبي بعد الحكم على زوجها باكية، فأخبرتها أن تلك دموع الفرحة وعودة حقها بكل تأكيد.

أجابتني باكية:

– كيف لي أن أخبر أولادي يومًا بأن أباهم اغتصب والدتهم وطلقها بل وطرد أولاده، أتعلم يا سيدي عندما تركني وذهب إلى عمل آخر كان قد تزوج بغيري هناك، وأنا كنت أشجعه بخاطر أولادنا دون أن أعلم بما فعله بي، على العموم جئت حتى أشكرك على وقوفك بجانبي. للحق حراسٌ وأنت منهم.

لم أكن أعلم بماذا أجاوب، فأخبرتها بأن هذا واجبي، وأن حارس الحق مهما تأخر هو الله، وعند الله لا تضيع الحقوق.

ذهبت الزوجة ولم أرَها مرة أخرى ولكن القصة لم تغب عن بالي يومًا، ورأيت بكاءها في عين كل امرأة جاءت تشتكي زوجها وتطلب مسكن الزوجية لها ولأولادها.

هناك وخلف تلك الأبواب المظلمة والجدران التي لا نعلم ما بداخلها قصصًا يشيب لها العقل ويغفل المنطق ذاته عن تصديقها.

القضية الخامسة: أحلام رشيد

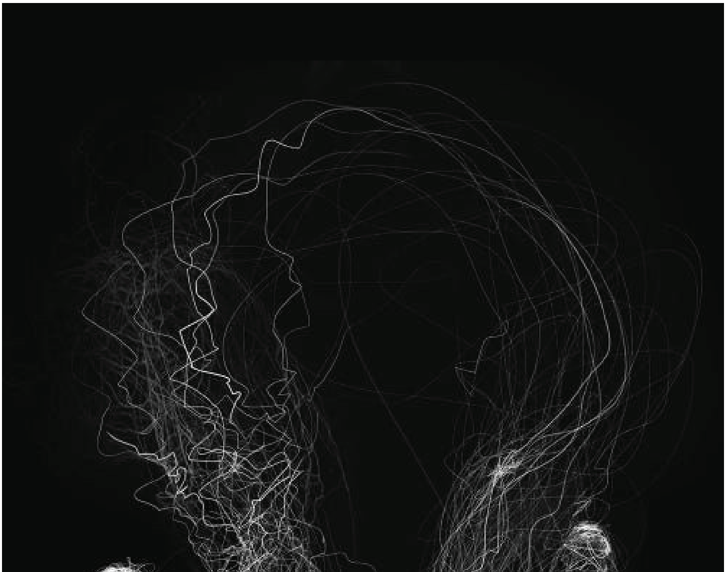

«س»

سلسلة جديدة لأحداثٍ وقعت بالفعل، كل أبطالها لهم اسم واحد وهو: «س».

القضية الخامسة: أحلام رشيد

قصة حقيقية..

النيل؛ ذلك النهر العريق، العرق الإلهي الخالد الذي لم يجد أجمل من تلك المدينة ليعلن عن نهاية رحلته الطويلة بها. رشيد؛ تلك الساحرة التي تقبع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بنخلها الممشوق الكثير، وهوائها الناعم، وأهلها الطيبين. وعلى طول نهر النيل ابتداءً من منبعه وحتى فرع رشيد، تطلعت أحلام آلاف البشر الطيبين الحالمين بالنصف الآخر من البحر. أوروبا؛ تلك العجوز الباردة التي اعتقد الكثيرين أن هناك بدايتهم الحقيقية، وأن قدمهم بمجرد أن تخطوا خطواتها الأولى على أرضها ستبتسم لهم الدنيا من جديد وتغدق عليهم من أموالها ورغدها، كانت رشيد هي المحطة لهؤلاء الحالمين قبل الرحيل، وكانت أحلامهم الأخيرة هناك.

جال «س» بين تلك المنازل التي أُعدت خصيصًا لاستقبال العديد من الأفارقة، والكثير من المصريين الراغبين في الهجرة بطريقة غير شرعية لدولة إيطاليا. كان كل منزل يضم من أربعين إلى خمسين مهاجرٍ، ولم يكن هناك اتصال بين أي منزل وآخر. لم يعلم أحد منهم سوى القليل من المعلومات والذي لا يتوجب عليه معرفة غيرها.

كان «س» هناك يتنقل بين منزل وآخر، يبدو لأحدهم كالأب الحنون يزود أطفاله بالطعام والشراب قبل ذهابهم لإحدى الرحلات المدرسية، ويبدو لآخرين كزعيم المافيا يدير شبكة كاملة من العهر والاتجار بالبشر. أيًّا ما كان يظهر لهم «س» ويجول في خاطرهم نحوه فقد كان يتأكد من بيانات الجميع، وتحصيل المبلغ

المتبقي منهم. كان المصري يقوم بدفع مبلغ مالي يتراوح من خمسين إلى سبعين ألف جنيهٍ، وكان الإفريقي يدفع ما يقابل ذلك المبلغ بالدولار.

نعم.. كل ذلك المبلغ يدفعونه للهجرة، أحلامهم تخطت دفع ذلك المبلغ، كما أن الهجرة العادية تتطلب حسابًا بنكيًا ثابتًا وتداولًا ماليًا عليه، وموافقات وتأشيرات وأمورًا أخرى كثيرة لا يملكها ولا يقدر أحدهم عليها.

على كلٍّ، أغلب المهاجرين يا سادة مدينين بتلك المبالغ لغيرهم؛ إيصالات أمانة، وعدد من الشيكات والكمبيالات، كل ذلك رصيد هؤلاء لهجرتهم.

في أحد تلك المنازل كان يقبع سامر بجوار زميله محمود، يتبادلان أطراف الحديث ويتناولان عشاءهما الذي لم يدرك أحدهما للحظة أنه عشاءه الأخير، وحال ذلك وجه سامر لمحمود حديثه قائلًا:

– محمود أنت تعلم جيدًا أني لا أستطيع السباحة.

– ولماذا تذكر ذلك يا صديقي؟ صدقني لن نحتاج إلى شيء من كل تلك التخيلات. لقد وعدنا «س» منذ قليل بأن المركب ستصل بنا حتى الشاطئ، ولن يضطر تحدنا للعوم من الأساس.

– وهل تثق في ذلك الأحمق الذي لم يأتِ إلينا إلا ليأخذ القسط الأخير من تلك الأموال اللعينة؟

– جميعنا نعرف أن «س» نجح في تهجير العديد من قبلنا وإلا لما كنا قد قبلنا بتلك المغامرة من الأساس، ثم انظر حولك؛ هل يعقل أن يخاطر «س» بحياة كل هؤلاء؟

– أنت لا تعرف كم تحمل أبي ليجلب لي تلك النقود يا محمود. إن لم أرجع تلك النقود سيسجنُ أبي إن لم يمت قبل ذلك.

– قلت لك لا تقلق يا سامر، سننجح وستتغير حياتنا للأبد.

– إن حدث شيء غدًا لا تتركني.

– لن أتركك يا صديقي، لن أتركك أبدًا.

كان لكل منزل من تلك المنازل مرشدًا خاصًا بها. في تمام الرابعة صباحًا اصطحب كل مرشد ضيوفه من المهاجرين في سرية تامة إلى حيث سيستقلّون مراكبهم، وهناك كانت المفاجأة الأولى؛ تبين لكل المسافرين أنهم ليسوا وحدهم، فوجئوا بوجود أعداد غفيرة متجمعة في نقطة الالتقاء، كما أن المراكب التي أمامهم مجرد مراكب صيد لا تصلح بالطبع لنقل بشر، وخصوصًا مع كل تلك المسافة التي سيقطعونها، كانت نظرات الذهول تكسوا وجوههم جميعًا لكن أحدهم لم ينبس ببنت شفة.

المطرقة والسندان..

كلهم دفعوا آخر ما يملكون من النقود التي يدركون تمامًا أنهم لن يستردوها مهما اعترضوا، كان الأمر واقعًا، وكان الواقع مرًا، وكان حلم السفر والوصول حافزًا لتذوق تلك المرارة بشيء من الصبر.

مركبا صيدٍ صغيران، وخمسمائة بشري على متنها، انطلقت فجرًا من رشيد من المكان الذى قضى كل هؤلاء ليلة أمس يتحدثون فيه عن أحلامهم وعن مآسيهم التي عانوا منها للوصول إلى تلك النقطة عن مستقبلهم الذي تمنوه مختلفًا.

لم يعترضهم أحد، ولم يلحظهم غفر السواحل، كل شيء سار كما خطط له رغم التزاحم الشديد، ورغم كل المعاناة التي تكبدوها اعتقدوا أن ذلك كل ما في الأمر، ولكنهم لم يكونوا على علم بأنهم على وشك تلقي صدمتهم التالية والأخيرة.

وصلت المراكب إلى عرض البحر حوالي الساعة السادسة صباحًا بعد ساعتين من بداية الرحلة، وهناك وجدوا مركب صيد كبيرة واحدة أمامهم، وبجانبها «س» في مركب أخرى خاصة به. نعم ما جال في خاطركم، هو ذاته ما تطرق إلى ذهنهم، المركب أمامهم معدة لنقلهم جميعًا، بالطبع لن تتسع لنصفهم حتى، ولم يكن أمام أيٍّ منهم الاختيار حتى مع اعتراضهم.

أخبرهم «س» أن من يعترض فليعد أدراجه مع المراكب العائدة أو حتى ليلقي نفسه في البحر، وفي الحالتين لن يسترجع أحد نقوده.

صمت رهيب مليء بالذل والإهانة، بدأ معه السماسرة في شحن هؤلاء الغلابة على المركب.

كانت المركب مكونة من السطح، ونصف دور فوقه، وثلاجة حفظ أسماك أسفلها كما علب السردين. تم شحن الناس في الثلاجة السفلية؛ أولًا مائة مهاجر كاملين تم وضعهم بداخلها حتى أن المسافة ما بين أحدهم والآخر لم تكن لتُرى بالعين المجردة.

وبدأ ملء المركب من الأعلى حتى وصلت إلى ثلاثمائة وتسعين مهاجرًا، وفي محاولة يائسة لوضع الباقين وسط صيحات التذمر التي بدأت في العلو من الجميع ومرور الوقت، اختل توازن المركبة، بالطبع كان سيختل، وبدأت في الميلان، أو بالتعبير الأدق في الغرق.

لاحظ ذلك «س» ومن معه، وأدركوا أن النهاية حانت، وفي خثة مهينة وبحركات متفق عليها فيما بينهم، قام أحدهم بغلق باب الثلاجة على المائة المحبوسين بداخلها؛ حتى لا يثيروا مزيدًا من الهرج حال غرق المركبة، وأمروا الباقين بالقفز إن أرادوا إنقاذ أنفسهم، وأخذوا أنفسهم ومراكب الصيد الأخرى وهربوا.

نعم يا سادة، هربوا وتركوا المهاجرين في عرض البحر يواجهون الغرق والموت، المركب مالت، والصرخات تعالت، وبدأ الجميع في القفز دون أدنى معرفة للخطوة التي تتلو ذلك.

ووسط كل تلك الصرخات واللعنات نادى سامر باكيًا على محمود الذي يقف على مقربة منه:

– محمود لا تتركني، لا أستطيع العوم.

نظر محمود إلى سامر وعيناه تذرف الدموع قائلًا:

– سامحني يا صديقي، سامحني.. وقفز.

كان محمود يدرك أنه إن استطاع إنقاذ نفسه فستكون تلك معجزة بالطبع. قفز وهو لا يدرك إلى أين يذهب، كان الجميع من حوله يصارعون الموت، حتى من يدرك السباحة منهم لم يتركه التوتر ولم تجعله الرهبة حتى يتذكر كيف يعوم.

كان الوقت مريرًا وبطيئًا، وكان الأمل في أن يدركهم أحدهم أو يبلغ عن مكان تواجدهم الخبيث «س» ومن معه.

ترك محمود جسده عائمًا على ظهره في محاولة منه للهدوء، وحتى لا تخور قواه توفيرًا لأي وقت يذكر.

بدأت الأصوات في الخفوت تدريجيًا، وعلم حينها أن كل من حوله قد غرق، وأنه مع كل صوت يختفي تصعد روح جديدة إلى السماء.

تدرك بجانبه أسرة كاملة لأب وزوجته وطفلين وقد فارقوا جميعًا الحياة محتضنين بعضهم البعض.

جثث متفرقة لمجموعة من الأفارقة، وحال عينهم يروي ما تعرضوا له من رعب قبل أن تفارق أرواحهم أجسادهم.

وكانت الفاجعة له حينما رأى جثة تمر بجانبه وتلمسه من جانب رأسه، وأدرك حينها أنها لصاحبه سامر وكأنه يقول له مجددًا: «لا تتركني يا محمود، لا أستطيع العوم».

انهار محمود من البكاء وهو يحاول التمسك بالجثة حتى لا تذهب بعيدًا، وبدأت قواه تنهار إلى أن جاء الفرج من بعيدٍ؛ أصوات الأبواق العسكرية تقترب، أدركتهم أخيرًا قوات حرس الحدود.

مئات القتلى؛ منهم مائة كاملين ماتوا واقفين محبوسين داخل ثلاجة لم يستطع أحدهم التحرك حتى في محاولة إنقاذ نفسه، قليل من الناجين الذين شردت عيونهم وشرحت لكل من نظر إليها الفاجعة التي تعرضوا لها، تجمعات من الأهالي تنتظر في صمت ورهبة وصول جثامين ذويهم الأحياء منهم والأموات، ونظرات التمني تملأ أجفانهم، والرهبة مما هو قادم تسيطر على عقولهم.

تم انتشال الجثث جميعها في سبعة أيام متتالية، وإخطار السفارات الإفريقية بالحضور للتعرف على الجثامين الخاصة بذويهم وتسليمها، امتلأت المستشفيات في رشيد والمراكز والمحافظات المجاورة بالجثث.

ناظرت العديد منهم، وقمت بتصوير وجوههم ليسهل على أهلهم التعرف عليهم.

لن أنسى جثمان الصغيرة التي كانت تبتسم ولا يظهر عليها أي أثر للوفاة.

لن أنسى تلك المرأة الإفريقية التي وجدت في عنقها حبلًا مربوطًا في آخرِهِ وكيسًا بلاستيكيًا، قمت بفتحه ووجدت بداخله خمسين دولارًا كانت تربطهم بعناية، وبالطبع كانت آخر نقود تملكها تلك المسكينة.

ولن أنسى بالطبع أني ناظرت آخر جثمان تم العثور عليه بعد سبعة أيام من البحث، وكان الجثمان كما الفيل في انتفاخه، وكما الفسيخ في تعفنه، كان المنظر صعبًا ومؤلمًا وقاسيًا بكل الأشكال.

وراء كل جثة كانت هناك قصة وكان هناك حلمًا.

قمنا بسؤال الناجين بالطبع، كان من بينهم محمود الذي حكى ما حدث مع صديقه سامر.

آخرين حكوا روايات لا تقل أسىً وحزنًا عن رواية محمود.

أحدهم قال إن تلك ثاني محاولة له بعد فشل الهجرة الأولى، وأنه سيحاول مجددًا إن أتيحت له الفرصة؛ مبررا أنه إما أن ينجح في ذلك أو يكون الموت أفضل له من البقاء في السجن بسبب ديونه.

تم القبض على «س» وكل من معه، ومصادرة المراكب خاصتهم، وتم استرجاع كثير من النقود التي تحصّلوا عليها لأصحابها، وتم محاكمتهم محاكمة عاجلة. «س» ومن معه اعترفوا بأن هناك سماسرة آخرين في أوروبا كانوا ينتظرون المهاجرين لتشغيلهم في

معسكرات كالعبيد حال وصولهم، مقابل أكلهم وشربهم وأن هذا ما يتم دومًا.

كان الموت ينتظرهم في كل الأحوال.

انتهت القصة هنا؛ ماتَ من مات وظلَّ منهم من ظل، هؤلاء الذين سافروا أميالًا لتحقيق طموح زائف وأحلام كاذبة بهجرة غير شرعية.

هؤلاء الذين ضحوا بأرواحهم وأهانوا كرامتهم من شدة فقرهم وعوزهم واحتياجهم، هؤلاء الذين تداينوا بالأموال حتى يحققوها ويجلبوا غيرها، هؤلاء الذين اجتمعت أحلامهم في مكان واحد وأطلقوا لها العنان.

الأحلام التي تبخرت بمجرد خروجهم من هذا المكان، أحلام رشيد.

القضية السادسة: ومن الحب ما قتل.

«س»

سلسلة جديدة لأحداث وقعت بالفعل،
كل أبطالها لهم اسم واحد وهو: «س».

القضية السادسة: ومن الحب ما قتل.

قصة حقيقية.

قصة حب تعدت من السنوات سبعًا، صحيح أنه قد تخللتها الكثير من الصعاب، لكن تلك الصعاب لم تهدم أبدًا أركان العشق الراسخة في وجدانهم، فانتهت النهاية التي يستحقها المحبين أمثالهم. تزوج «س» من حبيبته بعد رفض والدها له عدة مرات، وكان رفضه مبررًا بعدم قدرة «س» على جعل ابنته تعيش في المستوى ذاته وقد تعودت عليه، فوالدها رجل أعمال مرموق وعضو سابق بمجلس الشعب، بينما كان «س» لا يزال خريج هندسة بترول، ويتدرب في إحدى الشركات بمرتبٍ ضعيفٍ، كان الوالد يريد لابنته الأفضل، ربما كان محقًا وربما كان يريد من «س» الأفضل، المهم أنه رفضه في البداية، لكن تصميم «س» وإرادته والحب المتبادل بينه وبين محبوبته أزالوا تلك الفوارق شيئًا فشيئًا حتى اقتنع والدها بالأمر؛ وخاصة وأن «س» قد حصل على عقد عمل بإحدى دول الخليج بمرتبٍ مجزٍ.

صحيح أنه زوج ابنته في شقة بالإيجار لكنه تيقن من أن مستقبله سيتحسن، وأن ذلك أمرًا مؤقتًا، ويكفي حب «س» لابنته.

كانت حياتهما سعيدة، وكانت المشقة التي يلاقونها طريقًا مفروشًا بالورد، ولمَ لا وقد كان ما بينهما من حب يزيل أي عقبات وأي مشقة. تحسنت الأحوال شيئًا فشيئًا، وتمكنا من الانتقال إلى منزل آخر فسيح، رُزِقَ منها بطفلين ولد وبنت، كانا كالقمر وهو بدرٌ، ملأوا عليهم حياتهم بالبهجة، كانت كل الأمور على ما يرام وتبدو أنها ستنتهي كقصص الزواج الناجحة التي يتحدث الجميع عنها كمثال

ناجح يحتذون به في حياتهم، تلك التضحية وذلك الحب الحقيقي الذي يتمنى الجميع أن يعيش مثله، لكن الحياة وكما عاهدناها لا تستقيم أبدًا للأحياء، لا بد أن تبتليهم وتختبرهم كما يحدث معنا جميعًا، فإما نقاوم وننجح وإما نفشل. والنجاح والفشل في أي ابتلاءٍ يا سادة مرهونٌ فقط بردة فعل كل منا.

سافر «س» كعادته إلى الخليج تاركًا زوجته وأولاده كما يتركهم كل مرة، ولم يكن يعرف أن تلك المرة لن تكون كسابقتها من المرات.

كانت زوجة «س» غاية في الجمال، وكان هناك أحدهم يتتبعها منذ انتقلت وزوجها إلى شقتهم الجديدة، جمع كل البيانات الخاصة بها وراقبها مرارًا حتى سافر زوجها واستغل هو ذلك وراسلها فرفضت الحديث معه، هاتفها أكثر من مرة وباءت محاولاته جميعها بالفشل، تقرَّب منها مخاطبًا إياها في الشارع محاولًا معها، لكنها صدته وكادت تفتعل المشاكل معه، لم تخبر زوجها فيكفي سفره وتعبه، ولم ترد أن تقلقه، كما أنها صدت ذلك الوغد وغيره من قبل، فما أكثر من حاولوا الكلام معها وفشلوا لكن ذلك الرجل كان مختلفًا، فقد كان مولعًا بها وزيَّن الشيطان له إياها كثيرًا. فكر كثيرًا في الأمر وكيف تستجيب له تلك الفاتنة، لكنها كانت مخلصة، وكانت أقوى من شيطانه، وكان حبها لزوجها ولأطفالها أقوى من الجميع، ففكر ذلك الوغد في طريقه لفض مجلس الحب الرائع ذلك وكأنه استكثرها على زوجها فأراد أن يحرمها من زوجها والعكس.

أخيرًا تخمرت الفكرة الجهنمية في رأسه، راقبها كعادته حتى رآها تجلس مع أحد الرجال في إحدى الكافيهات، اعتقد أنه عشيقها؛ ولذلك لم توافق على الحديث معه.

هكذا الأمر؛ العاهرة تخون زوجها وترفضني.

تحدث إلى نفسه بتلك الكلمات، ثم أخرج هاتفه والتقط لها عدة صور مع ذلك الشخص، وعقد عزمه على إفساد حياتها انتقاما منها للأبد.

في المساء راسل زوجها «س» إلكترونيًا، وأرسل له الصور الخاصة بزوجته، وكان الخبر كالصاعقة التي نزلت على «س».

– من أنت؟

– فاعل خير بالتأكيد.

– من أين حصلت على تلك الصور؟

– بنفسي، أنا جاركم ومنذ سافرت وسلوك زوجتك هكذا، وهذا الرجل لا يترك بيتك أبدًا حتى قررت مساعدتك على معرفة الحقيقة.

– أخبرني من أنت؟

– لا يهم، المهم أن تلحق بزوجتك الخائنة، وبالمناسبة هل تأكدت من أطفالك منها في الأساس؟

وضحك ضحكة طويلة وخرج من المراسلة، تاركًا «س» في المجهول. تلك الصاعقة الأقوى في حياته بالتأكيد، لم يتركه شيطانه في حاله بالطبع، بل زاد من الطين بلة ما جال في رأسه من آلاف الأسئلة والأفكار السيئة، حتى قرر النزول إلى مصر في الصباح الباكر.

كان الطفلان في إحدى دور الحضانة، وكان يعلم ذلك مسبقًا منها. ذهب «س» مسرعًا إلى هناك وأخذ طفليه إلى واحد من أشهر

المعامل الطبية، وأجرى تحليل بصمة وراثية لكل منهما سريعًا وأرجعهما مرة أخرى إلى الحضانة، منبهًا على صاحبتها عدم إخبار الأم؛ لأنه يعد مفاجأة لها، تركهما وجلس منتظرًا نتيجة التحاليل.

في السابعة مساءً كان في المعمل والقلق كان نصيره، وكانت الصاعقة الأكبر؛ الولد طفله أما الصغيرة فلم تتطابق بصمتها معه كليًا، سالت الدماء في عروق «س» بسرعة البرق واعتلى الغضب وجهه الذي اشتعل حمرة من الحزن والصدمة، ترك المعمل مسرعًا إلى بيته، فتحت زوجته الباب مبتسمة وبملابس مثيرة، وقالت له:

– كنت أعلم أنك هنا، لقد أخبرني الأولاد بكل شيء، وكنت في انتظارك.

صفعها وأسقطها أرضًا وانهال عليها بالضرب المبرح، لم تستطع حتى الصراخ وهي لا تفهم شيئًا مما يحدث، زاد صمتها من غضبه معتقدًا أنها علمت أنه عرف حقيقتها، صرخ في وجهها مرارًا:

– تحدثي، تكلمي، لماذا خنتِني؟

كانت تود أن تتحدث بالطبع وتدافع عن نفسها وصدمتها مما حدث، لكنها لم تنطق ببنت شفة، فقد كانت زوجته فارقت الحياة وللأبد.

وقف الطفلان يراقبان المشهد من أمام باب غرفتهما والدموع تملأ أعينهما فزعًا ورعبًا، ولا ينطقان سوى كلمة واحدة دون الاقتراب: «ماما.. ماما».

أدرك «س» أن كل شيء قد انتهى، جلس على الأريكة وهاتف الشرطة وأبلغ عن الواقعة.

جلس «س» أمامي، وقد جاء تقرير الطب الشرعي الخاص بزوجته وأولاده، وقمت بقراءته أمامه وكانت المفاجأة.

– سيد «س» أريد أن أخبرك بأمر ما. تقرير الطب الشرعي يقول أن الولد والبنت أولادك والبصمة الوراثية مطابقة تمامًا لكل منكما. لقد قتلت زوجتك يا سيد «س» نتيجة خطأ ما من المعمل الذي باشرت التحليل عنده.

انصعق «س» مما تلوته عليه وأخذ يتمتم بكلام غير منطقي حتى جمع أفكاره وقال:

– ماذا عن الصور التي قدمتها والرجل الذي راسلني ورآها معه؟

– أتقصد ذلك الرجل الذي في الصورة مع زوجتك؟

– نعم.

– نسيت أن أخبرك أننا توصلنا إليه وهو في الخارج، وأريدك أن تسمع منه شيئًا، ثم قمت بضغط الجرس وناديت على الرجل.

دخل الرجل إلى الغرفة وقمت بتعريفه إلى «س».

– المهندس محمد يا سيد «س»، مهندس ديكور.

ثم التفتُّ إلى المهندس وعرضت عليه الصورة وسألته:

– هل تعرف تلك السيدة يا باشمهندس؟

– نعم أعرفها جيدًا.

– ولماذا كنت تجلس معها آنذاك؟

– لقد هاتفتني تلك السيدة منذ فترة، واتفقت معي لمقابلتي؛ لأنها كانت تريد مفاجأة زوجها المسافر بتغيير ديكور شقتها وتجديده قبل مجيئه.

– وهل تعرفها من قبل؟

– لا، إنها المرة الأولى التي أراها فيها.

– شكرًا لك تستطيع الانصراف.

ترك الغرفة وجلس «س» أمامي شارد الوجه مصعوقًا لا يستطيع النطق، وانهارت نفسيته تمامًا، وأخذ يردد اسم زوجته حبيبته التي أحبها دائمًا، وبدأت الدموع تنزل أنهارًا منه وهو ينطق اسمها ويردد كلمة: «آسف».

ولكن، لن تعود على الرغم من ذلك يا سيد «س»، على الرغم من حبك لها، وعلى الرغم من أسفك، لن تعود.

انتهت القضية وانتهت قصة الحب الرائعة بالشك، فشل «س» في اختباره، فشل في ابتلائه، خسر زوجته، وخسر حياته، وخسر مستقبله، وخسر قصة حبه، وخسر أولاده. كما أصبح أولاده يتامى الأم والأب والحنان والعطف والمستقبل بسببه.

الناس ترتكب الأخطاء يا سادة، وأحيانا تكون الأخطاء تستحق العقاب، ولكن أحيانًا يكون الظن في غير محله، ويكون الشك الخاطئ، الشك القاتل.

آخر ما وجهته إلى «س» قبل أن يذهب إلى مصيره، كانت الآية الكريمة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

«س»

جرائم غامضة على مرِّ التاريخ

تظل الجرائم عمومًا محلَّ شك، وتثير كثيرًا من التساؤلات عن مرتكبيها ولماذا فعلوا ذلك، ولكن الأصعب هو أن يكون هناك جرائم حلها ومفتاح الحل خاصتها في يد من ارتكبها فقط، ولا يستطيع أي شخص معرفة الجاني، وإليكم أبرز هذه الجرائم:

1 – الجريمة الأولى

البعض يطلق عليها اسم «مدينة الفتيات المفقودات»، فهي مجرد بلدة فقيرة تقع على الحدود بين المكسيك والولايات المتحدة، تعرض فيها مئات، أو ربما آلاف السيدات للاغتصاب والتعذيب والقتل خلال السنوات العشر الماضية، وبعض النساء تعيش هناك لتعمل في مصانع المدينة العملاقة أو التواجد على الحدود؛ لاستغلال الفرصة المناسبة للانتقال إلى العمل في الولايات المتحدة، وسط كل هذا تدور حرب المخدرات في المناطق المجاورة، والشرطة لا تقوم بدور يذكر، ويشاع أنها تتواطأ مع المهربين، ما يصعب الوصول إلى قتلة النساء.

2 – الجريمة الثانية

مقتل جون بنيت رامسي؛ حيث شهدت حياة ملكة جمال الأطفال، جون بنيت رامسي، التي لم يتعدَ عمرها 6 سنوات نهاية غير متوقعة، ولا يوجد تفسير لها أيضًا، فالأب جون رامسي اكتشف مقتل ابنته في قبو المنزل بولاية كولورادو الأمريكية، قبل 14 عامًا، وقبل هذه اللحظة بثمان ساعات تلقى هو وزوجته طلبًا من شخص مجهول بدفع فدية 118 ألف دولار، من أجل وصول طفلتهما إليهما سليمة. اشتبهت الشرطة في أسرة الطفلة بالكامل، بينما كانت الشرطة تنتظر تلقي مكالمة ممن يطالبون بالفدية، لكن تمت تبرئة الأسرة من الاتهامات، وإلى الآن لم يتم التوصل إلى الجاني.

3 – الجريمة الثالثة

منذ عام 2007، تم العثور على 5 أقدام بشرية ملقاة على أحد شواطئ مقاطعة كولومبيا البريطانية بكندا، دون العثور على أي أجسام أو رؤوس أو ملابس تتعلق بالضحايا، فقط 4 أقدام يسرى وواحدة فقط يمنى، كان أصحابها جميعًا يرتدون أحذية رياضية. وبالرغم من توصيل تحليل الحمض النووي لهوية ضحية واحد فقط، أبلغ عن اختفائه قبل شهور من الاختفاء، لكن جميع الاحتمالات التي طرحت والتي شملت أن الأقدام الأربعة الأخرى تعود إلى ضحايا مفقودين من حادث ارتطام طائرة جزيرة كوادرا عام 2005، لم يتم التوصل إلى مرتكب هذه الجريمة.

4- الجريمة الرابعة

مقتل نيكول براون ورون جولدمان، ما زال حادث مقتل زوجة لاعب الكرة الأمريكي، أو جاي سيمبسون، السابقة وصديقها في عام 1994 بلوس أنجلوس لغزًا غامضًا، وحتى بعد اتهام الزوج السابق بالقتل، تمكن من خلال فريقه الكبير من المحامين بإقناع هيئة المحلفين بأنه بريء فقط؛ لأن القفاز الذي وجد بمسرح الجريمة لا يتلاءم مع مقاس يديه، ولم تحل القضية إلى الآن.

5– الجريمة الخامسة

(وفاة إدجار آلان بو)

في عام 1849 غادر الناقد الأدبي والمؤلف الأمريكي، نيويورك متجهًا إلى ريتشموند، لكن قبل أن يصل إلى وجهته، وتحديدًا عند مدينة بالتيمور، لاحظ أحد المارة خطى الكاتب المترنحة التي أسقطته أمام أحد البارات في 3 أكتوبر من نفس العام، وعلى الفور نقل إلى المستشفى، لكنه فارق الحياة بعد أربعة أيام فقط، وأعلنت الصحف المحلية وفاته متأثرًا بالتهاب في المخ، ولمّحت إلى تناوله الكحول المسمم، لكن علماء أشاروا في وقت لاحق إلى أن إدمانه على الكحوليات والمخدرات ما هو إلا شائعات أطلقها بعض النقاد المنافسين، بينما لم يعثر أبدًا على شهادة وفاته.

6- الجريمة السادسة

في عام 1982 طافت سيارات الشرطة شوارع شيكاغو، على مدار يوم كامل، تذيع تحذيراتها من تناول عقار (التايلينول) السام، بعد أن تسبب هذا العقار في وفاة عدة أشخاص، وتم سحبه من الأسواق، ولم يتم التوصل إلى الجاني حتى الآن، وأصبح تزوير أختام الأدوية أمرًا شائعًا.

7- الجريمة السابعة

«أقتل الناس لأنه أمر مسلٍ جدًا»، جملة بدأ بها السفاح (زودياك)، أو (الفلكي) إحدى رسائله المشفرة التي أرسلها لكلٍّ من الشرطة والصحف المحلية في (سان فرانسيسكو)، بالتزامن مع سلسلة أعمال القتل التي ارتكبها بمنطقة الخليج منذ نهاية عام 1968م والتي تجاوزت العشرات من الجرائم دون أن يتم حلها.

8– الجريمة الثامنة

بالطبع كان عام 1888 هو الأسوأ بالنسبة إلى كل من اختارت أن تعمل بالدعارة في لندن، فخلال ثلاثة أشهر فقط تعرضت خمس فتيات للذبح، حتى إن إحداهن أُرسل كبدها للشرطة بواسطة شخص وقع رسائله التي بعث بها للشرطة باسم «جاك السفاح»، أو «السفاح المجهول». كان هذا النوع من سلسلة الجرائم غريبًا على مجتمع منطقة «وايت تشابل» في ذلك الوقت، وفشلت الشرطة في تحديد هوية الجاني أدت إلى موجة من الغضب، استقال على إثرها كل من وزير الداخلية البريطاني ومفوض شرطة لندن.

2– مملكة الحواتم..

قد يبدو أنك أحمد أو علي أو حماده، بس في الحقيقة أنت بشكل أو تاني حاتم. أيوه حضرتك حاتم وأنا حاتم وكلنا حاتم.. أهلا بيك في المملكة.

«1» الفجوة الزوجية الزماكنية

نايم عادى وبتقلب في السرير، وزي ما بعمل طول حياتي بتقلب الناحية التانية علشان أحضن مخدتي بحنان، أفوجأ بإني حاطط إيدي على حد جانبي، فتحت عيني لاقيت حد بيبص في عيني مباشرة وبيقول لي:

– أنت صحيت يا حبيبي؟

وأنا بصرخ:

– اااااااااااااه.. أنتِ مين؟

– مين إيه؟ أنا هاجر مراتك أنت مكوبس؟

– مكوبس! هاجر مراتك أنت بتتكلمي بجد؟

– لا دا أنت كنت بتحلم بواحدة تانية بقى.

– كمان واحدة تانيه؟ طيب هفترض إن كلامك صح، ينفع يعنى يا ياسمين تزنقيني في الحيطة كدا وتاخدي السرير كله لحسابك؟

– ياسمين مين يا روح أمك؟ لا دا أنت ما بقيتش تحبني زي الأول بقى، أنت كنت بتحلم بواحدة تانية؟

– لا إزاي بس يا ستي، دا أنا بموت فيكِ، دا تلاقيني مكوبس بس والله.

– طيب قوم يلا علشان الواد مزروط الصالة وعاوزين بامبرز؟

– واااد مين.. وأنت مين أصلًا؟

– مالك يا حاتم قايم مش على بعضك كدا ليه؟ أنت جالك زهايمر ولا كنت بتحلم بواحدة تانية؟

– اسمه الزهايمر على فكرة..

– وتانية إيه وزفت إيه، وبعدين ما تبرقليش كدا.

– طيب أنتِ عاوزاني أجيب بامبرز ليه الصبح كدا؟ هو التعب جالك؟

– يخيبك يا منيل، دوكها بالأجنحة. البامبرز دا علشان ابنك فؤاد.

– دوكها؟ أنا ابني اسمه فؤاد؟ أنا إزاي سميته كدا؟ يع لأ لأ.. دا أنا جالي زهايمر بقى ولا إيه؟

– شكلك كدا فعلًا.

تقوم من على السرير وهي لابسة كلسون أبيض مصري أصيل.

– إيه دا؟ إيه اللي أنتِ لابساه دا؟

– مالك يا حاتيم يا حبيبي، سقعانة مالك.. معلش بقى خدت كلسونك.

– كلسونك.. حاتيم. آه يا عيني يا أنا يا أما. هو إيه اللي بيحصل لي دا؟

فجأة لاقيت تلت عيال داخلين عليَّ الأوضة وبينطوا على السرير وقالعين مالط، وعمالين يقولوا بصوت أطفالي مستفز:

– بابا صحي.. بابا صحي.

وكانت الفاجعة..

العيال دي مين؟ وبابا إيه؟ وقالعين هدومهم ليه؟ يكونش هيغتصبوني؟ وقعدت أزعق بصوت عالي:

– مااااااما الحقيني يا ماما مااااااااااااما، هيغتصبوني يا ماما.

وفجأة لاقيت أمي بتصحيني من النوم:

– همَّ مين دول اللي هيغتصبوك يا ابن الموكوسة؟

– ماما.. أنتِ هنا؟ الحمد لله، أنا بحلم صح؟ يااااااه.. الحمد لله دا أنا كنت مكوبس.

– مكوبس؟ فيه واحد خريج جامعة زيك يقول مكوبس؟

– أنتِ مش فاهمة حاجة يا ماما، دا أنا شوفت كارثة بقول لك إيه؟ ناوليني التليفون بسرعة؟

– خد يا حبيبي.. لا إله إلا الله.. الواد اتجنن.

– بقول لك إيه.. هو أنا خطيبتي اسمها إيه؟

– هاجر يا ابني.. أنت جالك زهايمر؟

– لا ماسمعكيش بتقولي الكلمة دي خالص يا ماما.. هاجر.. يا نهار! خطيبتي اسمها هاجر؟ يبقى دا إنذار باللي هيحصل طبعًا.

يتصل بهاجر..

– ألو.. أيوة يا هاجر بقول لك إيه؟ إحنا مش هينفع نكمل مع بعض..

– ليه؟

– معلش طلع عندي الإيدز.

– عارف عارف إننا مخطوبين من تلات سنين، وعلى فكرة بقى أنا كنت بحلم بواحدة تانية فعلًا.. إيه دمرت لك مستقبلك؟ مش أحسن ما تدمري لي مستقبلي يا أم كلسون؟ بقول لك إيه أنتِ طالق بالتلاتة..

– إيه إحنا مخطوبين؟

– خلاص نخرج بالمعروف بدل ما ندخل بالبامبرز.. آه هو كدا سلام.

– إيه يا بني دا، أنت عندك الإيدز! يااااااااااا لهوي.

اهدي يا ماما ما تقلقيش.. مش أحسن ما يبقى عندي فؤاد وزهايمر.

«2» عودة حميدة..

عادي خالص، صحيت الساعة 8 بضرب الجزم وبعد ما عملت سنوز للمنبه عشرتاشر مرة، قمت غسلت وشي وحطيت نفسي جوا الهدوم في تلات ثواني، ولبست الجزمة وأنا مستني الأسانسير يطلع لي، أعمل إيه بس، عندي شغل الساعة 9 ودا تالت شهر ليَّ في الشغل وما ينفعش اتأخر.

الأسانسير فتح..

راجل ومراته راكبين جوا وعمّالين يبصوا لي، اللي هو أنت اتجننت ولا إيه؟

معقولة هتركب معانا؟

رديت في سري وأنا باصص لهم بتناحة:

– آه طبعًا هركب.. أومال إيه؟

أول ما ركبت لاقيت مراته واخدة جانب كدا وماسكة في جوزها، تقولش هغتصبها. أنا مش فاهم يعني هو الأسانسير دا معمول لاتنين بس ولا إيه؟ وفجأة لاقيت نفسي بقول بصوت عالي:

– حاجه تقرف.

– فيه حاجة يا أستاذ؟

– إيه؟

– فيه حاجة؟ بتزعق ليه؟

– لا أنا آسف.. أصلي افتكرت موقف يقرف كدا.

طبعا الراجل اتكتم لحد ما الأسانسير نزل، وأول ما جم ينزلوا كان نفسي أعمل زي الأستاذ عادل إمام كدا لما كان في الأسانسير وهَوْهَوْ على الناس، بس يلا والكاتمون الغيظ بقى.

فكيتني منهم وجريت أوقف أول تاكس؛ علشان ألحق الشغل، ووقفت أول تاكس قدامي.

– فاضي يا اسطى؟

– لا مليان والله، ها ها ارکب ارکب.

هو يوم باين من أوله..

ركبت جانبه وقلت له على مكان شغلي، رد عليَّ وهو بينفخ سيجارته ومغمض عينه:

–100 جنيه.

– 100 جنيه إيه يا أسطى! هو أنا راكب طيارة؟

– ها ها ها.. يا عم بهزر معاك.. خلاص 200 جنيه.

– بقول لك إيه يا أسطى نزلني.

– ها ها يا عم بهزر، هم 40 جنيه آمين؟

– آمين.. وبعد إذنك بس لو دخان السيجارة الناحية التانية كدا علشان ربنا يكرمنا.

بص لي حتة بصة، وأول ما شوفت عينيه الحمرا عالجت الموقف بسرعة وقلت له:

– ها ها ها بهزر معاك.. هات سيجاره هات.

اداني سيجارة، وجه يولعها لي، قلت:

– لأ ربنا يخليك.. أنا بشربها مطفية.

– ها ها ها.. أنت بتسبرس؟

– بسبرس؟ لا لا أنا راجل موظف قد الدنيا.

– موظف؟ يبقى بتسبرس.. اشرب اشرب.

سكت خالص، وقلت اتقى شر المحشش اللي جانبي وقعدت انفخ في السيجارة اللي مش فاهم طعمها دي، وبلعت كل الدريفتات اللي عمال يعملها بدون داعي دي وكمية التفافة اللي غطت على مية الشتا اللي في الشارع واللي هو حاجة آخر نيلة خالص.

المهم وصلت، والساعة كانت تسعه وتلت دقايق، رميت له خمسين جنيه، وطلعت أجري من كتر منا حاسس إني اتاخرت على الشغل.

أول ما دخلت باب المصلحة لاقيت عم جعفر بينادي عليَّ بصوت شبه عم جعفر بتاع المصلحة برده.. أصله ما لوش زي الصراحة.

– أستاذ حاتم.. البصمة معلش.

– قلت لي ليه يا عم جعفر؟ أنا حاسس إني ببصم على وصل أمانة والله.

– معلش هتبصم بردك.

– بردك! طيب بص أنا هجطع لك صباعي، وأنت ابصم بيه طول الشهر.

– إيه دي! ابصم يا أستاذ حاتم.

- أستاذ إيه بقى، دا أنت اللي رئيس قسم.

بصمت ودخلت وأنا بدعي ربنا إن المدير ما يشوفنيش، بس شافتني اللي أنقح منه.. شمس. بس قسمًا بالله ما طالع منها أي شعاع ضوء ممكن يطلع هبو مكياج عادي، لكن اسمها ملهاش فيه نصيب خالص ولاقيتها واقفة قدامي وبتقول لي:

- حاتيم.. أنت جيت؟

- حاتيم؟ أنت تعرفي هاجر طليقتي؟

- أنت اتجوزت؟

- سوري أقصد خطيبتي.. سوري اللي كانت خطيبتي.

- لأ ليه؟

- لأ عادي.. أصل افتكرت حاجة مقرفة كدا.

- مش مهم.. المهم إنك فركشت، دي كانت مفعصة كدا ومش لايقة عليك خالص.

- طيب معلش استأذنك أنا علشان الشغل وكدا.

- طيب أنا عملت لك محشي على الغدا وجايبة كيلو موز معايا.

- محشي إيه وكيلو موز إيه يا آنسة شمس! أنت شايفاني قرد! بعد إذنك ورايا شغل.

وسمعته من بعيد بينادي عليّ.. أيوة هو المدير.

- حااااااتم تعالي لي.

- اااااه هو يوم باين من أوله، جاي.. جاي لحضرتك حالًا.

أم تخبيط الركب بتاع كل يوم دا.

دخلت مكتبه ولاقيته قاعد وودانه باظة من وشه، والشمس داخلة من وراه محمرة ودانه وحاجة قمة الرعب، استعذت بالله في سري وما لحقتش أكمل والله.

– أنت جاي الساعة 9 وخمسة في مصلحة محترمة زي دي، أنت ما بتتعلمش من أخطائك؟

– أنا آسف يا فندم، بس أصل الطريق...

– أيوة.. بس أصل مصل فصل تالتة أول، عارف أنا الألاعيب دي.. أنت بتكدب.

– خلاص أنا آسف مش هتكرر تاني.

– تاني إيه وتالت إيه يا أستاذ، أنت متحول للتحقيق.

– تحقيق إيه يا فندم! هو أنا قتلت عم جعفر ولا اغتصبت الآنسة شمس! دا أنا اتأخرت خمس دقايق بس.

– أنت هتهرج؟

– يا فندم دا أنت اللي هتهرجني عن شعوري.

ولاقيت نفسي بضحك على آخري وبقول بصوت عالي:

– لأ بس حلوة وقعدت أضحك تاني.

قاطعني طبعًا:

– أنت اتجننت يا ولد؟ أنت مخصوم منك يومين على قلة الأدب دي.

– والله يا فندم أنا مخصوم على أمري إني مستحملك أصلًا.

وقعدت أضحك على أخري، فقال:

- الله الله.. دا أنت عينك حمراء، أنت شارب حاجة؟

- لا مش شارب، أنا لحية.. ها ها ها.. أحيه، تصدق يا فندم انا شربت سيجارة فعلًا من سواق التاكسي.

- سيجارة برده! آه يا منحل يا فاسق.

إيه يا عم الشتايم دي؟ منحل وفاسق ولا حق، أنت قديم جدًا على فكرة ها ها ها.

يا نهار! إيه اللي أنا بقوله دا؟ مسكت بقى بالعافية وأنا عمال أضحك وافتكرت السيجارة اللي شربتها، فعلًا كان شكلها غريب وبعلو صوتي رحت قايل:

- آه يا ابن الهرمة.

- لا دا أنت حيوان وسافل، وأنا هرفدك.

- لا مش أنت يا فندم، أنا أقصد سواق التاكسي والله.

- أنا هربيك.. يا جعفر يا جعفر.

- لا ما تحسسنيش إني في فيلم الكرنك وحياة خالتك، أنا.. أنا شكلي كدا شربت حشيش.

ولاقيت جعفر قدامي..

- مالك يا جعفر بتشخر ليه أنت نايم ولا صاحي ولا إيه ظروف أهلك؟ إيه دا بص العصفورة.

بيبص طبعًا.. ويا فكيك، وأنا في الطرقة لاقيت شمس في وشي، قلت لها بكل تلقائية:

- أنا شربت حشيش يا سعاد. وقعدت أضحك امسكي جعفر والنبي لحد ما أهرب.

بكل فدائية وحب حاشت جعفر عني وهي بتقول لي:

– اجري يا حاااااتيم.. اجري يا حاتيييييم.. وقعدت أجري زي المجنون وأنا عمال أقول لكل اللي بقابله وأنا بضحك:

– أنا شربت حشيش.. شربت حشيييش واترفدت، حد يحوش جعفر والنبي، أنا اترفددددددت.

بقول لك أيام سودة.

حاتيم اترفد.

«3» لف وأرجع تاني.

يعني كان لازمتها إيه أعمل فيها ابن بارم ديله وأشرب سيجارة من السواق وتطلع حشيش كمان! اديني فسخت خطوبتي علشان حلم عبيط واترفدت علشان سيجارة حشيش وأنا أصلًا ما بشربش سجاير، وكل دا في يوم واحد، تكونش دي لعنة الفراعنة؟ فراعنة إيه يا أهبل! بس يعني همَّ هيسيبوا كل اللي بيروحوا المتحف المصري وهيلعنوني أنا، والله شكلها لعنة جعفر وأنا مش واخد بالي.

التليفون بيرن..

– أيوة يا بابا، آه أنا تمام الحمد لله، لأ دا أنا نزلت من الشغل، آه آه أصلي اترقيت النهاردا فمشوني بدري الحمد لله بركة دعا أمي بقى، ابقى خليها تدعي لي كتير والنبي يا بابا. لا اوعى تزعلها دا من بوقها لباب السما والله.. إيه؟ أبو خطيبتي جاي النهاردا؟ طيب يشرف ييجي يشوف بنته هببت إيه في الحلم وهو يحكم ما بينا بقى، لا هاجي هاجي ما تقلقش سلام.

والله أنا شكل عيلتي دي بيصلوا غلط، يلا أما أروح أشوف الواد محمود على القهوة، يمكن لما أحكي له اللي حصل يمكن يشوف لي شغلانة ولا نيلة.

القهوة اللي أنا بقعد عليها فيها حاجة كدا من السبعينات، هم 10 كراسي واللي يلحق يقعد بقى، صاحب القهوة بقى شايف كل واحد فينا كوباية شاي مش أكتر.. اللي هو بدل ما يقول لي يا

حاتم يقول لي إيه يا أحلى جنيه ونص بيدخلوا لي القهوة، ورغم إنه مادي حقير بس حنين، تاني أحن شخص عليَّ بعد مخدتي، حرفيًا قعدت كجنيه ونص محترم أشرب كوباية الشاي بتاعتي لحد ما جه محمود.

– إزيك يا حتوم؟ عامل إيه؟ شكلك رايق كدا ومحلو.

– تروق روقاني يا أخي إن شاء الله بس ما تقاطعش.

– بقول لك أنت مش كنت هتكلم لي المدير على شغل عندك؟ كلمته؟ أنا ضايعة معايا خالص.

– شوف وأنا اللي جاي أشكي لك.

– إيه؟

– آه يا سيدي كلمته لك وفي انتظارك الساعة 12 النهاردا، بس ما تتأخرش عليه قبل ما يمشي.

– ربنا يخليك يا حبي، طب أقول له حاجة معينة؟

– بص أنت أول ما تروح هتلاقي واحد هناك اسمه جعفر، قوله بس إنك من طرفي وما تشغلش بالك بالباقي، هو هيدخله، قصدي هيدخلك ويظبطك عند المدير إن شاء الله.

– طول عمري بقول ما ليش غير حاتم صاحبي.

– حبيبي تسلم.

– طيب أسيبك أنا بقى علشان ألحق.

– وأنا كمان هتّكل علشان عندي حوار في البيت، ادعي لي بقى هتوحشني أوي يا صاحبي.

جاي أشكي له حالي يقول لي شوف لي شغل، دي أيام ما يعلم بيها إلا ربنا! خليه بقى يعرف أنا حالي إيه لما يروح. المهم بقى أشوف أبو هاجر دا عاوز إيه هو كمان.

روَّحت البيت وأول ما دخلت لاقيت أبو هاجر قاعد مع أبويا في الصالة.

– إزيك يا حاتم يا ابني، إيه يا حبيبي هاجر زعلتك في حاجة؟

– لا أبدًا يا حاج فتحي، هو بس أنا اكتشفت إني لا أصلح للجواز حاليًا.

– ليه يا ابني بس؟ ما الظروف الحمد لله حلوة وأبوك لسه قايل لي إنك مترقي وأنا عارفك من زمان صحتك حلوة.

بصيت لأبويا وأنا ببرق لاقيته بيقول لي:

– وأما بنعمة ربك فحدث يا ابني.

– أيوة يا بابا صح تحديدًا هو دا السبب، كدا المسئولية هتزيد يا عمي بعد ما اترقيت.

– أبوك لسه قايل لي إنهم مشوك بدري من الشغل علشان اترقيت، مسئولية إيه اللي هتزيد؟

بصيت لأبويا تاني وبرقت له لحقني وقال:

– نعمة ربك يا ابني، يبقى إيه؟ حدث يا ابنى حدث.

برقت لأبويا تاني وقلت له:

– هو أنت قلت له كل النعم ولا إيه يا حج؟

– إزاي بس يا ابني! دا الحسد مذكور في القرآن يا حبيبي.

– وعهد الله يا حج أنت فاهم القرآن غلط. قصره شوف يا عمي مش علشان أنت عمي فعلًا وأخو أبويا يبقى هرضخ لكل تلك المحاولات البائسة الفاكسة للرجوع لهاجر.

– جرى إه يلا يا ابن الكلب يا وسخ أنت! بتتّنك على عمك يلا؟ إيه ما تربتش ولا إيه؟ هو لعب عيال ولا أنا بنتي معيوبة؟ ولا تكونش معيوبة؟ قوم يا أبو حاتم كتف لي الواد دا وهات لي الفلكة.

– فلكة إيه يا عمي؟ أنا بالغ بقالي 15 سنة.

– بس يلا يا أبو شخة، هات الفلكة يا أبو حاتم وكتف لي الواد دا، واعمل حسابك يلا فرحك على هاجر الشهر الجاي.

– لا.. أنا لن أسمح.

وإذ هوب فجأة أبويا بينيمني على الكنبة، ومش عارف أبص له علشان أبرق له، وعمي ماسك الحزام وعلى هنشي وادي له، وهو بقى اللي مبرق لي وكل ضربة يقول لي فيها:

– ها.. فرحك على هاجر امتى يلا؟

– الشهر الجاي يا عمي.

يعلي صوته:

– فرحك على هاجر امتى يلا؟

– الأسبوع الجاي يا عمي.

– فرحك على هاجر امتى يا ولا؟

– الخميس الجاي يا عمي.

– فرحك على هاجر امتى يلا؟

– أقسم بالله هموت وما هتلاقي حد يجوز بنتك كدا، ما تقول حاجة يا بابا.

– زي ما عمك قال كدا، الخميس الجاي إن شاء الله وأما بنعمة ربك فحدث يا ابني.

– أنا هلحد بسببك يابا على فكرة، ما خلاص يا عمي أنت كمان، أنت لسه بتضرب فيّ؟

التليفون بيرن..

– ألو مين؟ إزيك يا محمود؟ الحقني يا محمود. إيه! الله يخرب بيتي؟ الله يخرب بيت معرفتك أنت يا جدع، إيه مين عايز يكلمني؟ ألو، أيوة يا جعفر عامل إيه وإزيك وازي شنبك؟ أنت عملت إيه في الواد؟ إيه دخلته؟ آه آه دخلته عند المدير. وهو عمل إيه دخله؟ آه دخله على الشئون القانونية. أمال هو بيتكلم كدا ليه؟ لسه داخل آه. الحمام لسه داخل الحمام.. هتعملوا في شبهة! ها ها ها، لا ما هو أنا الحمد حاليًا شبهة. دعوات أمي بقى، لا اقتلوه أنا ماعرفوش أساسًا.. اديهولي كدا، أيوة يا محمود هتلاقي واحدة اسمها شمس قول لها بحبك وهي هتنقذك من الموقف اللي أنت فيه، أدعي لك إيه! ادعي لي أنت يا حودة، أنا هتجوز الخميس الجاااااااي، ما بوراحة يا عمي، اااااااااه.

حاتم بيتحاتم.

فرحه الخميس الجاي.

«4» ما فيش فايدة.

النهاردا الأحد، وأنا فرحي الخميس بالأمر المباشر من عمي على بنت عمي، عادي خالص اترفدت من الشغل وأهلي فاكريني اترقيت، بتحصل. صاحبي انضرب من صاحب الشغل ولو شافني هيعمل مني كنافة ومحشية كمان. يجوز، لكن اللي ما يجوزش بقى إن مستقبلي كله اتغير في لمحة عين، وأنا مستسلم كدا لازم ألاقي حل. كل دا كنت بفكر فيه وأنا داخل كافيه عجيب كدا اسمه كنتركنتراف كنترافيستو.. والله ما أنا ناطقه.

أنا مش فاهم أم الكافيهات اللي عماله تسمي أسامي متخلفة دي علشان يحسسونا إنهم جامدين يعني، لو كان الكافيه اسمه أم رجب هيقولوا إيه الكافيه اللي ماسماش نفسه كنترافيسس؟ ييييه الله يخرب بيت أمه.

هو دا بقى المكان اللي هاجر خطيبتي قالت لي عليه نتقابل فيه؟ وطبعًا علشان عمي كان عندنا في البيت ما فتحتش بقى وقلت لها لا، يلا ربنا يعدي اليوم دا على خير. أول ما دخلت الكافيه لاقيت اتنين لابسين قمصان بيضاء وبناطيل سوداء واقفين جانبي وماشيين معايا، اللي هو مقبوض عليّ رسمي، لاقيت هاجر قاعدة على ترابيزة قصادي رُحت لها وهمّ برده ماشيين جانبي.

– أهلا إزيك يا هاجر؟

– إزيك يا حبيبي؟

– طيب ثانية واحدة بس، هو حضراتكم واقفين ليه جانبي كدا؟

– تحت أمرك يا فندم.

– ربنا يخليكوا يا سيدي، بس أنا خلاص وصلت يعني لو ما بضايقكوش عاوز أقعد مع خطيبتي لوحدنا.

– كل سنة وأنت طيب يا فندم.

– وأنت بالصحة والسلامة يا سيدي.

– نورت المكان يا فندم.

– يا عم أنا لا فندم ولا زفت، طيب اتفضلوا اقعدوا معانا طيب بدل وقفة البودي جاردز دي، إحنا إخوات يعني.

لاقيت خطيبتي مطلعة خمسين جنيه وبتديها لهم وبتقول لهم شكرًا ومشيوا بعدها وبوقهم كله رضا.

– إيه اللي أنا شوفته حالًا دا؟ أنت اديتهم خمسين جنيه علشان قبضوا عليّ من عند الباب لحد هنا.

– دا النظام يا حبيبي هنا.

– يا صلاة النبي أحسن، دا لو النظام نفسه عرف الموضوع دا هيسقط لوحده أنا مش مرتاح للمكان دا.

– ليه يا حبيبي دا كنتر فيستولا من أحسن الكافيهات في مصر، وبعدين دا أنا قلت هتجيبني لوحدك هنا علشان اترقيت.

– اترقيت.. ها ها ها، أنت لو شفت القهوة اللى بقعد فيها أنا وصحابي هصعب عليك والله، وبعدين اسم الكافيه دا لوحده كفيل إنه يقفلني من أمه.

– خليك رومانسي بقى، وبعدين أنا مخامصاك.

– آااه ما هي بتبدأ بمخامصاك دي وهتنتهي بالكلسون أنا عارف.

– كلسون إيه وقرف إيه؟ إيه اللي بتقوله دا؟

– بصي يا هاجر اللي أوله شرط آخره نور. أنت آه بنت عمي الغنية وباين عليك طول عمرك النضافة وكدا بس لازم توعديني.

– أوعدك بإيه؟

– ما فيش عيال كتير هو عيل واحد بس أو اتنين.

– طيب ما هو دا الصح أصلا.

– أيوة فيه فرق بين الصح والواقع، أنا الصراحة حلمت حلم حلم قذر جدًا ودا اللي خلاني اتصل بيك وأقول لك خلاص.

– يا حاتم أنا بحبك، رغم عفانتك بحبك، أنت اللي وعيت في الدنيا على وشه، فاكر يا حتومي وإحنا صغيرين لما كنت بتغير لي البامبرز؟

– أهو أم البامبرز دا اللي قافلني منك أصلا، وبعدين بالله عليك دي ذكريات تفتكريها في باريس اللي إحنا قاعدين فيها دي.

قاطعنا الجرسون وهو بيقول:

– تحت أمركم يا فندم.

بصيت لخطيبتي وقلت لها:

– إيه ما تدي له خمسين جنيه يلا.

ضحكت وقالت لي:

– لا هو عاوز يعرف هنشرب أو هناكل إيه.

– طيب اتفضلي يا حبيبتي اطلبي.

قالت له:

– واحد مولتن كيك أو شوكليت براونيز وفرابتشينو بعد إذنك.

زي اللي جات له صاعقة بالظبط، بصيت لها وبعدين بصيت له وأنا مكسوف:

– واحد شاى على ميه بيضاء سكر زيادة لو سمحت.

– السكر برة يا فندم.

بعجلصة كدا بعد ما حمدت ربنا إنهم عندهم شاي أصلا:

– بره ولا جوه ما تقلقش أنا خبير في كل أنواع الشاي.

مشي الجرسون ولاقيتها بتقول لي:

– شاي إيه يا حبيبي؟ هتشرب شاي يوم ترقيتك؟

– بصي يا هاجر، أنا عاوز أعترف لك بحاجة، أنا اترفدت.

– إيه اترفدت! أُمال إيه حوار الترقية دا؟

– لا دا موضوع كبير هحكيه لك بعدين.

– مانا قلت لك تشتغل مع بابا وأنت رافض.

– يا حبيبتي عمي في العادي أصلا بيضربني، ما بالك لو اشتغلت معاه؟ وبعدين هشتكيه لمين؟ دا لبابا هيقول لي وأما بنعمة ربك فحدث ويسكت. البطارية بتفضى هنا تقريبًا.

– ما هو يا حبيبي ما قدمناش غير كدا.

تنزل الطلبات وأنا كلي استغراب:

– إيه يا هاجر كمية اللحمة اللي ادأنت طالباها دي؟ مش كتير شوية؟

– لحمة إيه دي شيكولاتة!

– إيه؟ فعلا! مانا عارف بس يعني نفس الكالوريز بتاعة اللحمة، أنا خايف عليك بس.

خلصت أكل وأنا خلصت أوحش كباية شاي شربتها في حياتي، وقلت لها هروح الحمام وراجع.

دخلت الحمام وخلصت ولاقيت واحد واقف لي على الباب كدا وسادّة تقريبًا مانعني من الخروج وبيقول لي:

– كل سنة وأنت طيب يا فندم.

– دا على أساس إني بعمل حمام مرة في السنة يعني ودا الميعاد السنوي.

لاقيته بيعلي صوته وبيقول لي:

– كل سنة وأنت طيب يا فندم.

– أنا مش فاهم يعني هو عيد تحرير سينا، ولا دا عيد الحمام السنوي، ولا إيه! أنت بتبارك لي على إيه؟ دا أنا كنت بعمل زي الناس عادي.

– كل سنة وأنت طيب يا فندم.

– خد يا سيدي 2 جنيه أهم، مكان غريب جدًا الصراحة.

طلعت وطلبت الجرسون على طووول:

– الحساب لو سمحت؟

- اسمه الشيك يا حبيبي.

- شيك إيه؟ هو أنا قاعد في البنك الأهلي؟ هات الفاتورة الله يبارك لك.

جات الفاتورة وياريتها ما جات، أول ما بصيت فيها حرفيًا ما فهمتش حاجة، كلها بالإنجليزي، قال يعني لما هاجر طلبت بالعربي فهمت، كل اللي عيني وقعت عليه الإجمالي:

- يا نهار! كام؟ 664 جنيه؟ ليييييه؟

- اهدي بس يا حبيبي، هو النظام هنا كدا.

- نظام إيه، شوية شيكولاتة وشاي وعصير ملون ب700 جنيه؟ وأنا أقول أنتِ بتقولي شيك ليه؟ أنت عارف أنا بقبض كام؟

- حضرتك دا كدا من غير السيرفيز والتاكسس، كدا كله يبقى 800 جنيه بس.

- 800 جنيه بس؟ ها ها ها، أنت مستوعب أنت بتقول لي إيه؟

- خلاص يا حبيبي، أنا هدفع هات الشيك لو سمحت.

- آه طبعًا هتدفعي لنفسك مش أنتِ اللي مختارة مغارة علي بابا اللي إحنا فيها دي، الشاي بكام يا عم؟

- ب98 جنيه يا فندم.

- عارف أنا مراخيري نفسها ترد والله بس اللي مانعها شنبك دا، أنت لو شوفت بتاع القهوة وهو بيجري ورانا علشان الجنيه ونص هتعذرني.

- طيب ادفعي يا هاجر معلش عشان نسيت دفتر الشيكات في الهمبروبؤ.

– فين يا حبيبي؟

– ما تركزيش يا هاجر وادفعي.

هاجر بتدفع وأنا بحسس على العشرين جنيه اللي في جيبي وبحمد ربنا.

وأنا طالع بقى قابلت الاتنين اللي وصلوني، ميلت على واحد منهم وقلت له:

– بتاخد خمسين جنيه في التوصيلة؟ يا بخت أمك بيك والله، هتلاقيها بتصلي وبتدعي لك صح؟

– أنا اسمي مينا يا فندم، وأمي ميتة.

– فعلًا؟ ماشي يا عم اقعد أنت وحد القطرين هنا لوحدك وأنا طالع لحياتي وبؤسي. روح يا شيخ، روح، خد خمسين جنيه كمان من اللي داخل دا رووح.

طلعنا بره وهاجر بتقول لي: «تعالَ تعالَ أوصلك بعربيتي، واعمل حسابك من بكرة هنروح نجيب طلباتنا».

وأنا عامل نفسي تنك:

– لأ بس اختياراتك مش حلوة يا هاجر، فيه كافيهات دخلتها أحسن من كدا بكتير.

– ماشي يا أخويا، ابقى وديني أما نشوف.

بنركب العربية ولاقيت واحد بيجري عليَّ من بعيد، في الأول افتكرته جعفر، لكن لما قرب لاقيته حد تاني وبيقول لي:

– اطلع اطلع، تمااام.. كل سنة وأنت طيب.

– آه هو أنت منهم؟ لأ ثواني يا هاجر بقى.

وفتحت باب العربية ونزلت له ومسكت فيه.

– طيب إيه يا ولاد الكلب، فيه مناسبة مثلا؟ لو ما قلتليش اطلع مش هطلع مثلًا؟ إيه الفلوس دي كلها؟ أنتم شوية حرامية، أنت مين يلا اللي مشغلك هنا؟

دي منطقتي أنت بتزعق ليه؟

– أنا المقدم نقيب محمد فؤاد يا كلب.

– أنا آسف يا باشا.

– لأ مش هسيبك إلا لما أوديك على القسم.

– خلاص بقى يا حاتم بدل ما يضربك.

– اتفضل يلا امشي من هنا، ولو سمعتك بتقول لحد كل سنة وهو طيب تاني همرمطك.

– تحت أمرك يا فندم.

– ولا دي حتى يا ابن الجزم، ولا دى حتى.. هوب اجرررري.. هو لازم الواحد يستخدم سلطاته معاكم، شعب غريب.

لاقيت هوبا تيكا نانا واحد قافش فيَّ من كتفث وبيقول لي:

– تعالَ معايا.

– أنت مين؟

– أنا مخبر المنطقة، كلم الباشا في البوكس.

– بوكس إيه دا أنا كنت بخدم الحكومة والله.

ما سابنيش اتكلم وجرني جر لحد عنده، بصيت لهاجر وأنا بتجرجر:

– الوداااااع يا هاجر، الظروف والجوابات أقوى مني يا هاجر، الودااااااااع ياا هااااااااجر.

الوداع يا هاجر.

«5» أهلًا بيك في المملكة..

أيام ما يعلم بها إلا ربنا، يعني يوم ما أحاول أعمل راجل قدام خطيبتي أتشد على البوكس قدامها وأطلع على القسم!

أول ما نزلنا لاقيت مخبر واقف على باب القسم، وكل اللي ينزل من البوكس ويعدي قدامه يضربه على قفاه، وقفت عنده وما دخلتش وزعقت له.

– اوعى تتهور أنت ما تعرفش أنت واقف قدام مين؟

– قدام مين يا أخويا؟

– أنا النقيب ملازم أول محمد فؤاد.

– وأنا الرائد لواء عمرو دياب، يلا خش يا روح أمك خش.

وراح رازعني هوب على قفايا مرتين، يا ريتني ما اتنيلت اتكلمت.

ودا كان الاستقبال، المهم دخلنا الريسبشن بقى، وفي الريسبشن الفوراق كلها بتتشال ووقفنا طابور كدا، وجه ظابط بص لنا بكل تواضع وقال للأمن: «خدوهم على التلاجة»، اسكت لا طبعًا رُحت مديها.

– الله أكبر هي دي البشوات اللي بتفهم مش ضرب على القفا وكلام فاضي، الباشا ليه نظرة برده ودينا يا ابني التلاجة.

لاقيت الظابط وقف فجأة وبرق لي كدا وقال لي:

– دا إيه العسل دا كله؟

– يا فندم دا حضرتك اللي سكر.

– آااه سكر، ودي لي يا ابني العيال دي على التلاجة كدا، وهات لي السكر دا على مكتبي.

عدلت هدومي وأنا بتفرج على العيال وهمّ ماشيين قدامي وبصيت لهم بصة رجل مهم لحد ما اتلسعت القفا التالت، والأمين بقى إيه ادهولي وثبت ايده على قفايا ما شلهاش وبصوت كله حنية قال لي:

– قداااامي.

– دخل بي على الظابط، ونزل ايده، والظابط قال له:

– سيبه لي واطلع بره، أنت اسمك إيه يلا؟

– حاتم يا باشا.

– جاي في إيه؟

– في البوكس يا باشا.

برق لي تبريقة تانية وزعق وقال لي:

– إحنا هنهزر يا روح أمك!

– يا ريت والله يا باشا علشان شكلك قافش حبتين.

– دا أنا هتسلى عليك النهاردا.. عويس.

دخل واحد غريب علينا الأوضة ومش عاوز أقول كم إنه وطى علشان يعرف يدخل من الباب، ولثانية كدا افتكرت فيلم الكرنك وبصيت للظابط بسرعة وقلت له:

– باشا أنا عاوز فرج.

- ما تقلقش يا حبيبي عويس دا بخمسة فرج في بعض. امسكهولي يا عويس.

- وحياة الست الوالدة ما تتعصب، بص وديني التلاجة مع باقي الزملاء وخلاص.

مسكني عويس وكنت عامل زي الكورة، الشراب في إيده والظابط بيقرب مني بالتصوير البطيء، وهو بيشمر دراعه وبيبرق لي برده.

- آااه هي فيها تشمير، طيب نتفاهم يا باشا.

- نتفاهم! دا أنت شكلك عيل قلق، أنت مين وراك يلا؟

- عويس يا باشا.

- يا ابني ما تشلش إيماني، أنت عملت إيه علشان تيجي هنا؟

- زعقت للسايس علشان عاوز فلوس مني.

برق لي تاني، وقفل عينه سيكة كدا وقعد يبص لي باستغراب، اسكت؟ رُحت مديها.

- باشا هو حضرتك هتفضل تبرق لي كدا؟ يعنى اضربني أحسن لكن أنا كدا فعلًا خايف والله، وهموت من القلق يا من الضحك الله أعلم.

- هتموت من الضحك ها؟ دا أنا هعمل منك بطاطس محمره، شايف المروحة اللي هناك دي.

- آه يا باشا مالها؟

- إلزق وشك فيها واقف على رجل واحدة.

- دا إيه العذاب دا يا باشا؟ دا أنا كدا ممكن استهوى.

- يلااااا.

- يا باشا أنا ميلا أهو والله، بس عويس مش ميلا معايا وقافش فيّ.

- سيبه يا غبي.

سابني عويس وروحت وقفت على رجل واحدة ووطيت لحد ما بقت المروحة في وشي، وحاجة في منتهى المش عارف إيه دا الصراحة، وفجأة لاقيت اللي موطي جانب ودني وبيتكلم بالراحة.

- أنت عربيتك نوعها إيه؟

- ما عنديش عربية.

- طبعا أول ما اتكلمت في وش المروحة كان الموضوع في قمة التهريج، والشبكة قاطعة خالص، بس ما ضحكتش علشان ما يخلنيش أحط صوباعي جواها ولا حاجة، وكمل هو بنفس نبرة الصوت الواطية.

- ولما أنت مش معاك عربية اتخانقت مع السايس ليه يلا؟

- علشان عربية خطيبتي.

- أنت خاطب؟

- هتصدقني لو قلت لك إني مخطوب مش خاطب؟

- إزاي يا شيماء يا بنتي فهميني.

- هفهم حضرتك يا مستر ظابط، أنا عمي واخدني لبنته بالعافية، هيجوزني ليها غصب عني فاعتبرني مخطوبة حضرتك.

الظابط بدأ يتأثر بكلامي، وبدأت ملامحه يبان عليها الزعل، وقال لي:

– وأنت جيت على الجرح يا شيماء والله.

– باشا معاش ثانية واحدة كدا، أنت مين وشيماء مين!

في اللحظة دي بدأ يعيط وهو بيقول:

– دي مراتي يا حاتم، برده بنت عمي واتجوزتها بالعافية.

قمت من قدام المروحة وقلت له:

– لا شد حيلك كدا، أنا مش عاوز أشوفك بتعيط تاني، اقعد بس قدام المروحة زيي كدا أنت هترتاح.

بكل استسلام قعد مكاني وبدأ يحكي قصة جوازه في مشهد عبثي خالص:

– ما كنتش عاوز أتجوز، كان نفسي أخلص كلية وأسافر بره أكون نفسي. بس إزاي وأنا عمي لواء شرطة قدم لي هو وأبويا، بالعافية اتقبلت، وأول ما اتخرجت عمي قال نرد الجميل بقى، فخطبوني ليها، وحددوا ميعاد الفرح كمان واتجوزت شيماء بالعافية، وقاعد زي ما أنت شايف كدا، قدام المروحة بحكي لواحد أهبل ماعرفوش قصتي.

يااه يا باشا، أما قصة بنت متضايقة بصحيح.

كنت ساعتها قاعد على مكتبه وبصيت لعويس لاقيته بيعيط عياط مش لايق على جسمه خالص، فقلت أكسر الجمود دا بأي حاجة، فقلت لعويس:

روح هات ميه بسرعة يا عويس للباشا.

وكانت المفاجأة العشرين الحقيقة، في اليوم دة لما عويس رد عليّ بصوت طفل صغير يقرب من طبقة صوت حلزقوم:

حاضر يا باشا.

رديت عليه تلقائًا:

– أنت يا ابني ما فيش حاجة فيك لايقة على جسمك خالص والله.

مشي عويس وروحت للظابط قومته وهو تقريبًا بيكلم نفسه، وقعدته على كنبة قدام المكتب وقعدت جانبه.

وبحبحت بقى بالكلام:

– شوف يا باشا، أنت زي أخويا، ما خبيش عليك، أنت شبهي بالظبط، مجبر أخاك لا بطل، كل واحد فينا أجبر على حياة مش عاوزها، أنت اتجوزت بنت عمك بالعافية رد جميل لعمك اللي دخلك الشرطة، وأنا هتجوز بنت عم بالعافية علشان فلوس العيلة ما تتطلعش برا، خيال مآته يعني.

يدخل عويس ويحط كوباية المايه قدام الباشا وأنا كملت كلامي:

– حتى عويس يا باشا اللي صوته صوت طفل وروحه بريئة مجبر يشتغل هنا؛ علشان جسمه فرض عليه كدا، لحد وقت قريب كنت فاكر إننا بنختار حياتنا بايدينا، لكن للأسف فيه ناس حياتنا عايشة بس علشان تختار لنا إزاي نعيشها.

الظابط كان متأثر فعلًا بكلامي وبص لي وقال لي:

– عندك حق يا حاتم، معلش إني شديت عليك، شوية الضغط النفسي اللي الواحد فيه بقى بيطلعه على الناس، أنت إنسان محترم ومثقف ومكانك مش هنا، السايس هو اللي المفروض يبقى مكانك. تفتكر يا باشا السايس بيحب شغلانته دي؟ قطعًا لأ، ما حدش بيحب يتشاكل مع الناس ويفرض عليهم فلوس وكل يوم والتاني تحصل له مشكلة وخناقة، هو كمان أكيد مجبر على العيشة دي علشان يعيش.

– عاوز تقول إيه يا حاتم؟

– عاوز أقول إننا كلنا بشكل أو بآخر حاتم برده، كل حد بشوفه مجبر على حاجة بشوف نفسي فيه، حضرتك حاتم، وعويس حاتم، والسايس حاتم، وأنا حاتم. تقدر تقول يا باشا إننا في مملكة كبيرة من المجبرين.

رد الباشا عليَّ وباين عليه متاثر جدًا والدموع في عينيه:

– عندك حق في كل كلمة قلتها يا حاتم، أنت شاب طموح وتستاهل كل خير فعلًا، خده يا عويس.

– ياخدني فين يا باشا؟

– على الحجز طبعًا يا حاتم، أنت حبيبي آه بس دا شغلي.

– حجز إيه يا باشا؟

– ما تقلقش يا حاتم، دا أنا بخدمك، بوديك مملكة من المجبرين اللي زيك علشان تشرح لهم وجهة نظرك اللي أثرت فيَّ أنا

شخصيًا. الحجز يا حاتم مش شرط يكون سجن، الحجز ممكن يكون جواك ولازم يا تتخلص منه يا هتبقى زيي كدا.

– مملكة وحجز؟ دي مملكة إيه دي يا باشا؟

بص لي بابتسامة عريضة وقال لي:

– مملكة الحواتم.

تمت بس ما خلصتش.

3– «هكذا أحببتها»

في حياة الإنسان ولمرة واحدة فقط سينبض قلبك بقوةٍ غير متناهية، سيتوقف الزمن للحظات، ستتمنى لو كنت تمثالًا جمَّده الوقت لآلاف السنين على هذا الإحساس وتلك اللحظات، ستشعر بأنك لا ترى ولا تسمع سواها هي. نعم ذلك هو ما شعرت به تمامًا حال جلوسي أمامها ممسكًا يدها للمرة الأولى معترفًا لها بحبي، نسيت أن أخبركم: «أنا محمد محمد كمال، وتلك هي حبيبتي ياسمين».

مرت تلك الدقائق علي وأنا أنتظر في شغف، جالسًا في سيارتي معلقًا نظري نحو إحدى أبواب النوادي الاجتماعية الشهيرة منتظرًا خروجها منه، كانت تلك هي المرة الأولى التي سأراها فيها. أخيرًا وبعد فترة من حديثي معها وارتياحي لها لتكون مشروعَ صديقة لا غبار على صداقتها، كل ما كنت أنتظره هو أن يرى بعضنا البعض؛ حتى تدب الطمأنينة في قلب كل منا تجاه الآخر، وليتأكد كلٌّ منا أن الشخص الذي سمعه وتحدث معه وجلب قلبه على الارتياح إليه هو ذات الصورة التي رسمها كلٌّ منا في خياله. كنت أراهن نفسي: هل سأعرفها من أول وهلة؟ هل تشبه كثيرًا صورها؟ أم إنها أحلى من ذلك؟

هل الفتاة التي ارتضيت لقلبي أن يكون لها أخًا وصديقًا، وأرتاح لساني وعقلي وقلبي للحديث معها والتحدث عن أدق تفاصيل حياتي لها ستكون كما تخيلتها و رسمتها؟

كنت قد أخذت وقتًا طويلًا في اكتشافها، محاولًا تكوين صورة لها، ليس لأنه كان بيننا ثمة علاقة خاصة، ولكن لكونها مختلفة،

فكانت من بين الجميع محل بحثي واهتمامي ورغبته لمعرفة تفاصيل حياتها، وكيف ساعدت الظروف في تكوين مثل تلك الصداقة.

من الصعب أن تجد في تلك الأيام شخصًا مختلفًا، تشابه فيه الجميع وتسابقوا على ارتكاب الأخطاء واصطناع الشر، والتفنن في كيفية الفراق وأساليب الأذية.

لحظات قليلة، تلك التي كنت انتظرها في صمت، ولكن جال في خيالي مئات الكلمات التي دارت بيننا منذ أن تعارفنا، وكيف كانت الصدفة التي جمعتنا معًا، ويا لها من صدفة شاء القدر أن لا يكتمها عن اثنين كان من المستحيل يومًا أن يتعارفا، ولكنها إرادة الله الذي جمع بين المشرق والمغرب، فكان من اليسير عليه أن يجمع بين شخصين لا تربطهما أي صلة ببعض، وكان له في ذلك حكمة.

قطع صمتي خروجها بسيارتها من ذلك النادي، وكان الاتفاق بيننا أن تخرج لنجتمع في مكان قريب، أدرت سيارتي. ببطءٍ شديدٍ، لعله ذلك التوتر الذي كان يحركني؛ ليس لأنها كانت المرة الأولى التي أخرج فيها مع فتاة، ولكنه كان ذلك التوتر الممزوج بروعة اللقاء وانتظاره منذ زمن.

قمت بالسير خلفها حتى ركنت سيارتها بجوار إحدى الكافيهات الشهيرة، وتركت سيارتي بجوارها منتظرًا إياها للخروج من سيارتها.

لا أخفيكم شيئًا؛ إني كنت شديد الخجل حتى إنني لم أستطع أن تقع عيناي عليها قبل أن تفتح باب سيارتها للنزول منها.

إن كنت لم تقرأ عن توقف الزمن من قبل، فأنت لا تعرف معناه، ولا بد لك أن تجربه بنفسك.

تلك اللحظات التي توقف فيها الزمن فعليًا، ووقفت حواسه كليًا عن أي شيء محيط به إلّاها، صُمّت أذناي عن أي صوت آخر سواها، ولم ترَ عيناي إلا وجهها فقط، وكأن الرؤية اقتصرت على مجرد وجودها، وانعدمت للباقين. سرت قشعريرة باردة في كل أنحاء جسدي؛ جعلته ينتفض داخليًا مئات المرات، أحسست بنبض قلبي وكأن القلب انتقل إلى الأذن، فكنت أسمع نبضاته بوضوح، حتى إني لم أكن أعرف سببًا يفسر ذلك، لكني أدركت فجأة أني لا أقف أمام بشرًا عاديًا، فكان لزامًا على جسدي أن يفعل ذلك دون أن يدرك كيف لهذا الملاك أن يكون أمامي؟ وكيف يكون قادمًا من أجل رؤيتي؟

كانت جميلة بطريقة دعتني للاعتقاد أن نصف جمال الأرض ليوسف والنصف الآخر لها، وضحكتها كانت صافية صفاء البحر في لحظة شروق سحرية، وملامحها بريئة حد الاعتقاد بأنها ستعيش طفلة حتى الممات، كأنها لوحة لو رسمها أعظم فناني الأرض كدافنشي لما أبدع في رسمها هكذا، ولمَ لا وقد رسمها الفنان الأعظم رب كل الفنانين فأبدع فيها.

كانت المرة الأولى التي أشعر فيها بما حدث بداخلي، ولكني أصريت على أن أتماسك أمامها حتى أجد تفسيرًا لما حدث، كانت المرة الأولى التي أرى فيها هذا الملاك بكل تفاصيله الجميلة.

لم ولن أنسى أبدًا أول مرة وقعت عيناي بداخل عينيها وكأنها أسرتني وتحفظت عليّ بداخلهما؛ فلم أعد أرى من حينها إلا صورتها في وجه كل من أراه.

كانت المرة الأولى التي تغيّر بعدها كل شيء، كانت المرة التي غيرت حياة كل منا وللأبد، وكان اللقاء الأول.

***

لم يكن مهمًا عندي كم الساعة الآن؟ في أي مكان نجلس؟ من يجلس بجوارنا؟ كل ما كان يشغل بالي حينها هي أنها معي ولأول مرة.

عن روعة ذلك اللقاء، لم أنسَ منه جزءًا من اللحظة حتى يومنا هذا، كل تفصيلةٍ حدثت كانت ذكرى منفصلة حفرت في عقلي ولن أنساها إلى الأبد.

بدأت تحكي وبدأت أركز ويا له من حكي، تفاصيل كثيرة بدأت تُكشف لي ولها، حياتنا الشخصية أصبحت واضحة أكثر فأكثر، الطريق أصبح أكثر سهولة للوصول إلى قلب كل منا.

كانت استثنائية، وكنت أظن نفسي عندها كذلك، كل شيء أصبح محفورًا في ذاكرتي، المشهد ما زال حيًّا وتفاصيله ما زالت تتكرر أمامي ببطء كلما أردت تذكر ذلك اللقاء.

حتى تلك اللحظة كنت أظن أن الحبَّ كذبة وأن المشاعر هي الوسيلة التي يضحك بها بعضنا على الآخر فقط لكي يتمكن من العيش بجواره. ومنذ تلك اللحظة تبدل كل شيء، انتهى اللقاء سريعًا رغم كل تفاصيله الجميلة، ولكنها النسبية الحمقاء؛ فالوقت الجميل يمر بسرعة الصاروخ، والوقت المر يمر ببطء كسلحفاة أرادات أن تحفر المرارة في قلبك وهي تخطو خطواتها البطيئة تلك. منذ ذلك اللقاء تحول خريفي إلى ربيع ولم أعد أكتب شيئًا إلا عنها.

كفى حروبًا، وكفى سياسة، وكفى ألمًا، وكفى أن تكون هي موجودة.

لم أعد أريد غيرها، نعم لم أكن لأقول وأفصح عما اعتراني من مشاعر أبدًا؛ خوفًا من فقدها، كنت أتحرك بحذرٍ وأتكلم بحذرٍ، وأتصرف بحذرٍ، كل ذلك من أجل الحفاظ عليها.

لم أكن لأبدأ يومًا من أيامي إلا وقد جعلت صباحي هي وكأنها من كانت تصنع ألوان طيفه فتبهجه، وعندما ترد علي الصباح وكأنها أعطتني إذنًا ليبدأ يومي وعملي، وليستمر نبضي وتصبح كل أفعالي سعيدة.

أستمع إلى كل أغاني الدنيا وكأني أسمعها لأول مرة، شيءٌ جديدٌ قد بدأ يتحرك بداخلي، لم أشعر به من قبل، نبضات عجيبة تلك التي كانت تدق ببطء في قلبي ليتمكن من الإحساس بها، سخونة وجهي عند الحديث إليها أو لمجرد أن أقوم بفتح صفحتها على إحدى مواقع التواصل كان يشعرني بسعادة غارمة لم تأتِ من قبل، كيف لكل سنواتي الفائتة أن تمر بدون تلك الحياة، وبدون ذلك الشعور.

لم أنسَ أبدا ذلك الشعور حينما كانت تبادلني بعض الأغاني وكنا نستمع إليها لساعات، لم أنسَ أبدا ذوقها الرفيع في اختيار ملابسها وكيف كانت تبدو في كل لقاء معها.

لم أنسَ أبدًا عينها وأنا أقوم بتقريب كل صورة لها للنظر إليهما بدقة، لم أنسَ أبدًا كيف كنت أقضي الكثير من الساعات، أقرأ كل شيء عنها وكل كلمة كتبتها من قبل على صفحاتها في مواقع التواصل، وكيف كان ردها على كل تدوينة دونتها.

لم أنسَ أبدًا كيف كان أصدقاؤها وحتى طريقة تفكيرهم وكتابتهم واهتماماتهم أيضًا، وحتى الأماكن المفضلة للخروج إليها.

حاولت مرارًا وتكرارًا معرفة كل ما تحبه وتفضله، ألوانها المفضلة: الأبيض والأسود، ولن أحكي لكم كيف تعشق هذين اللونين، الأيام المفضلة إليها هي أيام الجامعة، وكيف كانت تقضيها بشغف الطفلة التي بداخلها.

الأماكن التي تفضل الخروج إليها والروائح التي تضعها، نوع السيارات المفضل لديها، كلبها الذي مات، وكلبها الذي اشترته مؤخرًا، عملها الذي احتارت كثيرًا في أن تكمل به أو لا، مديرها في الشغل وحلاته فاقعة الألوان والورد الذي يحضره معه أثناء قدومه للعمل، كوبا القهوة أو النسكافيه اللذان كانت تحتسيهما على مكتبها، حبها الجم للانطلاق والخروج وتجربة أماكن جديدة مع الاحتفاظ برونق وذكريات القديمة لديها، مئات المئات من التفاصيل الأخرى جعلت منها له حياة.

ارتبطت روحي بروحها ارتباطًا لا يقبل التجزئة، وإن كنتم تعتقدون أني بدأت بسبب ما فات من حديث فأنتم لا تعرفون شيئًا، هكذا فقط كانت البداية، هكذا فقط بدأت في حبها.

هل تعرفون للشوق وزنًا؟ هل تعرفون للحب قيمة؟ هل تدركون كيفية خفقان القلب؟

هل تدركون معنى الحب، الشوق، الاشتياق، الغيرة، الحلم، اللوعة، الخوف، الاهتمام، الطيبة، القلق، الألم، المعاناة الاحتضار؟

هل جرب أحدٌ منكم أوجاع القلوب؟

لا بأس إن كنتم لا تعرفون، فمن الآن وصاعدًا ستتفهمون كيف كان كل ذلك بداخلي.

اجتاحت أوصالي كمٌّ من المشاعر قلما اجتمعت في قلب أحدهم إلا قلوب العاشقين، الذين أفنوا ما تقدم وما تأخر من عمرهم في سبيل الوصول إلى قلوب أحبائهم، كنت قد أحببتها حبًا جمًا.

لم تكن الفتاة الأولى بالطبع التي أتحدث إليها، وكذلك لم أكن أنا بالنسبة إليها، ولكن ما الذي سيشكله ذلك من فارق طالما كانت هي الفريدة من بينهم التي جعلت قلبي يخفق هكذا، ورسمت البهجة على كل روحي بهذا القدر، وجعلتني في لحظة أنسى كل من قابلتهم من نساء.

الحب يا سادة حقيقي، كائن حي له شعور وطعم ورائحة، لا يقتصر على كلمات العشق والجمل المتكررة، ستجد نفسك هكذا إن أحببت حقًا، ستخرج الكلمات من فمك كما لم تخرج من قبل، ستشعر بأقل التفاصيل وتجد لها رونقًا خاصًا، وكانت هي مليئة بالتفاصيل الرائعة؛ عيناها الصافية التي تنظر في خجل وسحر رائعين كلما نظرت إليك أو سمعت كلماتك، خصل شعرها الناعمة وهي تحركها بيدها في بطء لترى القمر أمامك بدرًا، رائحة عطرها، وساعة يدها، والسلسلة المتدلية على رقبتها. كل شيء ستراه واضحًا جميلًا فريدًا، وسيمرّ عليك الوقت طالبًا من الله أن لا ينتهي أبدًا وقت الرحيل كما آدم عندما خرج من الجنة إلى الأرض.

كنت آدم وكانت هي جنتي وأرضي وملكتي التي أتنفس بوجودها وأعيش من أجلها.

بدأت معها صديقًا، وتحاكينا مرات عدة، اقتربت منها أكثر وأكثر. حكت لي عن نفسها وعن ماضيها وحكيت لها، رقنا لبعضنا البعض وكثر حديثنا، وكيف لا أكثر منه وأنا أسمع ذلك الصوت

الملائكي عذب النبرة، المختلف في نعومته وسحره، تقابلنا مرات عدة اعتدت على وجودها حد الإدمان حتى كان ذلك اليوم.

حينما نظرنا إلى بعض عدة دقائق دون أي حديث، وكان كل منا ينتظر الآخر للبوحِ بما داخله، وحينما تحدثت قالت:

محمد، أنا لم أنتظر أكثر من ذلك وسارعت في البوحِ قبلها.

ياسمين، أنا أحبك.

وأنا أيضًا أحبك يا حبيبي.

كنت أود أن أضمها إليَّ في تلك اللحظة لساعات وساعات، كنت أريد أن أصل ما بداخلي إليها دون أن أتكلم حرفًا واحدًا.

كانت ستعرف حينها أنني لم أقصد بكلمة أحبك المعنى الحرفي لها: «أ ح ب ك».

إنما كنت أذوب فيها عشقًا، أشعر بأنها أنا، وأنا هي.

أحبك تعني أني اعتنقت مذهبك، تعني أني آمنت بكِ وبوجودك في حياتي، تعني أنك أصبحت في قلبي ودمي، أحبك تعني أني لا أستطيع كرهك، أحبك تعني الملايين من المشاعر التي لن تصفها كلمات كل لغات العالم.

تكلمنا يومها لساعات دون أن يكل منا من حديث الآخر.

تكلمي يا حبيبتي، أريد أن أسمع صوتك العذب، لماذا تسكتين؟

أريد أن أسمعك وأنت تتكلم يا حبيبي، أحب صوتك حين يتحدث.

كل ألوان الدنيا لو اجتمعت في تلك الأيام لما رسمت شيئًا من الحالة التي كان كلٌّ منا يعيشها، لم تكن علاقتنا كأي علاقة،

فظروف حياتنا لم تكن كأي ظروف، كانت ستمنعنا حتمًا من تسطير نهاية سعيدة كالتي تنتهي بها أي قصة حب عادية وصادقة، كنت أعرف وكانت تعرف، ولكني كنت أحبها وكانت تحبني، وقد كان الحب كافيًا حينها.

الحب بداية ونهاية، الحب خريفٌ وربيع، الحبٌ ليلٌ ونهار، الحب عتمة ونور، الحب حياة. وقررت قراري الخاص حينها: أحبها وسأظل، سأكون لها خادمًا مخلصًا وسيدًا حنونًا، سأكون طيبًا صادقًا وواعدًا منفذًا، سأضم روحي إلى روحها: فإن ذهبت ذهبت روحي معها.

لو كانت عصا القدر معي لأمرت كل الكواكب والنجوم والمجرات والبشر والشجر والبحار والأنهار أن تخضع لها، تختار منها ما تشاء وتفعل بهم ما تشاء.

كانت ملكتي، ومليكتي، وملكتي، وملاكي، كانت جوهرتي الغالية، وكانت تلك بداية المشكلة الحقيقية: إنني لا أراها إلا جوهرة ثمينة، والجواهر لا يمتلكها أي بشر حتى إن النظر إليها محرمٌ إلا لمالكها؛ لأنه إن كان يملك ثمنها الغالي لن يسمح لآخر لمجرد أن يسترق النظر إليها.

لم نترك يد بعض يومها، كان معظم حديثنا صامتًا، ولكن العيون تحدثت بمئات الكلمات، كل شيء أضحى له طعمًا خاصًا بعد ذلك. ابتسامتي لم تفارق وجهي وكأني أراها في وجه الجميع، كلمات الأغاني أصبحت تؤثر أخيرًا وتروق لي، سمعي بعد أن كنت زهدتها جميعًا، تحسنت طريقة لبسي واعتدل هندامي كثيرًا، أصبحت

أمارس الرياضة وأنام مبكرًا، كل حياتي تبدل نظامها، لقد غيرتيني يا ياسمينتي، أصبحت بك أقوى وأفضل، ولا أريد في الدنيا سواك.

كانت هناك العديد من اللحظات الفريدة في حياتنا، تلك الورود التي أرسلتها إلي في عملي، الهدايا التي تبادلناها في كل الأوقات، اللقاء الحار بعد فترة من الغياب، الضحكات والنكات وذكرياتنا القديمة، كل شيء بل كل الأشياء كانت معها حياة مختلفة وعمر جديد.

الحياة تعطيك الكثير وأحيانًا أكثر مما تستحق، ولكن إن قررت معاقبتك فسيكون عقابها قاسيًا، القسوة التي تجعل أحدهم يقدم على الانتحار أو يستقر به الحال مريضًا في إحدى دور الشفاء النفسي، أو تائهًا حائرًا من جديد لا يتمنى سوى أن يتمكن من التقاط أنفاسه فقط ليعيش، فقط ليحيا.

كانت كل الأمور جميلة، كانت الحياة مبهجة، تغطي جنباتها الألوان، حتى ذلك اليوم وحتى تلك اللحظة التي تغير بعدها كل شيء.

كان لقاء الحب الأخير، الآن سأقابلها بعد أن باحت قلوبنا لبعضها بما داخلها، من المؤكد أن اليوم الذي سبق تلك المقابلة لم أستطع فيه النوم من كثرة فرحي وقلقي؛ ماذا سأرتدي؟ قمت بارتداء جميع ملابسي مجربًا هذا على ذاك، وذاك على هذا، حتى إنني في نهاية الأمر ارتديت أقرب قطعتين إلى يدي من كثرة ما كنت في حيرة، هل أقوم بحلاقة ذقني أم أتركها هكذا؟ بالطبع حلقتها فهي كانت تفضل ذلك، كيف أسرح شعري؟ أي حذاء مناسبٍ أكثر؟ أي رائحة من الممكن أن تفضلها علي؟ هل تحب هي الشيكولاتة؟ من المؤكد.. لا تكون غبيًا، ليس هناك فتاة لا تعشقها.

هل أجلب لها معي؟ لا تفكر كالحمقى، بالطبع يجب أن تحضر معك.

في أي مكان سنجلس؟ بماذا أبدأ حديثي؟ هل احتضنها بمجرد رؤيتي لها؟ هل ستجلس بجواري؟ هل سأستطيع أخيرًا تقبيل يدها والإمساك بها؟

لا يهم كل ذلك، دع ما يحدث يحدث، المهم ألا تتأخر عليها كعادتك الدنيئة.

قمت باستقلال سيارتي وطويت الطريق مسرعًا محاولًا الوصول، قبلها تلك المرة، ها أنا أجلس منتظرًا إياها، وها هي قد جاءت.. ما هذه الأناقة؟ يا لروعة تلك الابتسامة؟ هذه المرأة حبيبتي؟ نعم، إنها كذلك، وقفت أمامي، لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك، قمت بأخذها في حضني وقلت:

وحشتيني.. وحشتيني أوي.. بحبك يا غالية.

قالت لي:

لا أريدك أن تترك يدي أبدًا طالما كنا جالسين مع بعضنا البعض.

حبيبتي، أنا لن أترك يدك ما حييت. أعشق القدر الذي جمعني بك، أعشقك ويا له من يوم!

الحبّ حالة من الاطمئنان، تدوي بقلوب المحبين فيرتاح كل منهما للآخر، لم يكن عندي من الموانع أن أنادي بأعلى صوتي في كل الأماكن أحبببببببببببببببببببببك.

أن أحتضنك في وسط الشوارع، أن أصر، أن أفعل ذلك في أكثر الأماكن ازدحامًا وأمام جميع البشر.

ولمَ لا والحب جنون، ولولاكِ وخوفي من أن يسبب ذلك لك أي نوع من الإحراج؛ لما ترددت لحظة في أن أفعل ذلك مرارًا وتكرارًا، فخورًا بما أملك، عاشقًا لما أحب، كانت كل مشكلتي أنني أفكر معك في التو واللحظة، لا أخشى المستقبل، ولا أنظر إليه، ولا أخاف منه طالما كنا سويًا، الآن وطالما حافظنا على ذلك الحب لحظة بلحظة، لن نخاف من شيء، أي شيء.. كانت كل أمالي حينها، متى سأقدم لك بوكيه استثنائيٍّ فريدٍ من الورد الأحمر، وكيف سأفاجئك به؟

متى سنرقص سويًا أحلى رقصة منفردة لي ولك وأنا أضمك لحضني؟

متى سنسافر سويًا إلى إحدى الأماكن بمفردنا لنقضي أوقات كثيرًا ما تمنى العاشقين تمضيتها؟

متى سأجعل مني طريقًا لك تمشين فيه حتى أضمن الاطمئنان عليك؟

متى وكيف ولمَ تأخر كل هذا؟ كيف أجعل منك أسعد المخلوقات وأكثرها رضا؟

ولكني ربما كنت ساذجًا حين فكرت بتلك الطريقة، ربما يا غالية كنت تافهًا، ولكن المؤكد لي أنني كنت أحبك.. أحبك فقط.

قابلتها تلك المرة بعد طول غيابٍ، كانت تنتظر في سيارتها حتى قدومي، كان الجو ممطرًا والهواء ممزوجًا برائحة المطر، نزلت من سيارتي ونزلت واقتربنا من بعضنا في هدوء أسفل المطر غير مبالين،

ابتسمت لها وبدون أي حديث يذكر وبدون أي ترتيبٍ وجدت نفسي أحضنها في مشهدٍ ليس بسينمائي وإنما كان حقيقيًا جدًا. اقتربت من أذنها هامسًا: «وحشتيني».

تحت المطر احتضنتها حضننا الأول وكان الأخير، دخلنا سويًا إلى إحدى الكافيهات، وكأي مرة تبادلنا الأحاديث ولن أنسى أبدًا يومها حين عاهد كل منا الآخر ألا يتخلى أحد عن الآخر مهما حدث، بالطبع سأفعل دون أي وعد، كيف لي أن أتخلى عن جزء من روحي إن لم تكن كلها، دقت الساعة التاسعة مساءً، أخبرتني بوجوب رحيلها فالجو ممطر ولا بد لها من العودة مبكرًا. ودعتها وركب كل منا سيارته ورحلنا، رحت أفكر في طريقي عن حديثنا ومستقبلنا، وعن ذلك الحضن الذي لم أتمنَ أن ينفك أبدًا ما حييت، هتاف بتفكيري، صوت هاتفي يعلن عن قرب انتهاء شحنه، بحث عن شاحني فلم أجده في السيارة، تذكرت.. لقد تركت الشاحن على المنضدة حين كنت جالسًا مع حبيبتي وتركته، بالطبع سأعود لاسترجاعه، إذ كيف لي أن أنتظر دون أن أطمئن عليها حال رجوعها إلى منزلها. ركنت السيارة مسرعًا في أي مكان خارج الكافيه، ودخلت مبتسمًا إلى النادل متجها إلى المنضدة، وكانت المفاجأة، وكانت الصدمة.

***

كانت ياسمين أمامي مباشرة تجلس على أريكة أمام المنضدة برفقة أحدهم، ممسكة يديه وتنظر إليه تلك النظرة التي كانت تبادلني إياها منذ قليل.

تسمَّرت في مكاني، أحسست بانخفاض خفقان قلبي الشديد وصعود الصداع إلى رأسي في ثوانٍ معدودة.

ما هذا؟ كيف تجرأت تلك الحقيرة على اللعب بي هكذا، تقدمت خطوة في اتجاههم ثم تراجعت، لم أكن أتمالك نفسي ولا أدري ماذا أفعل الغريب في الأمر أنني وقفت لعدة ثوانٍ دون حتى أن تلاحظ وجودي، ها هي عيناها وقعت في عيني، تركت يده في سرعة ممزوجة بالتوتر، ونظرت إلي نظرة المصدومة، نظرة الخائنة، تركت ذلك العبث خارجًا وركبت سيارتي وانفرطت في البكاء.

مرت الذكريات الجميلة تلك على رأسي مؤلمة متسارعة، رحت أخبط في كل شيء حولي وأنا أبكي بحرقة المهزوم، حرقة من مات والده أمام عينه منذ ثوانٍ معدودة، وجدتها تخرج إلي مهرولة وهي تنادي عليَّ:

محمد.. محمد.

أدرت السيارة، وجريت مسرعًا، قدت السيارة إلى إحدى الطرق السريعة المظلمة وأوقفتها، نزلت مسرعًا لأفرغ كل ما في معدتي، ووقفت أنظر إلى المجهول صارخًا:

لماااااااذا لماااااااااذا؟

***

أيام مظلمة كثيرة مرت، بدأ الجميع يلاحظ توهاني، احمرار عيني، ذبلان ملامح وجهي.

لم يكن الأمر سهلًا، لم يكن كذلك أبدًا.

دعاني الفضول لأجد تفسيرًا واحدًا لما حدث، عرفت بعد فترة أن ذاك الشخص كان موجودًا في حياتها قبلي، لم أكن حبيبك أبدًا يا ياسمين، كيف لروحين اتحدا حبًا أن يفترقا؟ كيف لطفل صغير مثلي أن يعيش يتيما بدونك؟ كيف أعيش بدون وطن.. بدون مسكن.. بدونك؟ كيف لك أن لا تتمسكين بي وأنا أغرق، وأنا أنظر إليك نظرة غريق قبل الموت؟

كيف لك تركي أموت أمام ناظريك مبتسمة؟ أما كان لكِ حتى أن تنظرين إليّ بعين العطف؟ بعين الشفقة؟ بعين الرحمة؟ بعينيكِ؟

ألم يتحرك قلبك من أجلي للحظة؟ من أجل حتى أي لحظة عشناها سويًا؟ من أجل ضحكي معك، من أجل دموعي، من أجل خوفي واهتمامي بكِ؟

ألم تتوقفي للحظة لتفكري مع نفسك، لماذا فعلت به هكذا؟ لماذا جعلت نبضات قلبه تتسارع حد الوقوف هكذا؟ الحب يا حبيبتي كان عندي أن أرى فيكِ كل بنات الدنيا لا لأراكِ وأنتِ معهم.

كنت مجرد عابرًا في الطريق تنسين به همومك وعثرات قلبك الفائتة، كنتِ تحاولين نسيانه بي، ولكنك لم تجدي ضالتك.

ترى كم عابرًا في الطريق غيري! حاولتي بهم نسيان الآخرين.

كم قلبًا دمرتيه وجعلتيه مولعًا بكِ، أعتقد أن هناك بعضهم، لكن أبدًا لم يحبك منهم مثلي، حتى ذلك الغريب ربما كان أحدهم من العبور.

لم أجد تفسيرًا أبدًا، ولكني احتفظت بتلك الذكريات الجميلة من قبل أن أراكِ هكذا في مخيلتي إلى الأبد.

للأسف أحببتك بصدق، وتلك الصورة الملائكية القديمة لم أستطع يومًا نسيانها.

انسحبت ببطء أنا وذكرياتي إلى المجهول، إلى عالمي الجديد بدونك يا حبيبتي.

***

ذات يوم راجع ذهني بعض ذكرياتي القديمة منذ سنوات تتجاوز الثمانية.

كانت هناك إحدى الفتيات التي تدعى سمر تحبني حبًا جمًا، لم أكن أحبها ولكني لم أكن أخفي إعجابي باهتمامها بي. تلك النظرات والهدايا والاهتمام والأغاني القديمة، كنت فرحًا بذلك كله، فرحة الطفل الذي يحب اللهو واللعب كثيرًا دون أدنى اعتبار لما يجول بمخيلة تلك المسكينة من مشاعر صادقة.

أتذكر ذلك اليوم الذي أتت إلي فيه بالجامعة دون أن تخبرني كنوع من أنواع المفاجأة، ورأتني مع فتاة أخرى نتبادل الحديث، رأيتها فهربت ولم أحس بأدنى شعور من الألم سوى أنها صعبت علي قليلًا. تمنيت فقط الاعتذار على الأقل، لكنها كانت المرة الأخيرة التي أراها بها.

ذلك الدين القديم أدفع فاتورته الآن، لا بد أن سمر صرخت وبكت وانهارت كما حدث لي. أن تكسر قلب أحدهم فهذا دين ولا بد أن يوفيه قلبك مكسورًا سمر، هكذا أحبتني.. أما ياسمين فهكذا أحببتها.

4–فيسبوكي

«مجموعة من المقالات والمواقف التي توثق بعض الأحداث التي تمت خلال الفترات الماضية، التي تناولها رواد مواقع التواصل الاجتماعي وأثرت في الجميع».

1- «نداء القدر»

كان لي صديق مقيم بإحدى القرى، وفي يوم كان عنده امتحان فنزل بدري من بيته وجري على المكان اللي فيه الميكروباص علشان يلحق واحد منهم، وكانت العربية فيها مكانين جانب السواق، ومكان واحد بس ورا اللي فاضيين، فركب قدام، لكن واحد واقف جانب العربية قال له أنا حاجز المكانين دول وكنت بشرب سيجارة وطالع، فصاحبي شد معاه في الكلام وبعد شوية لما لقى نفسه هيتأخر قال له خلاص ما فيش مشكلة، ونزل صاحبي وركب ورا واتحركت العربية.

بيقول لي بعد خمس دقايق بالظبط، ببص في ساعتي وكانت 7 و43 دقيقة، وقال لي عمري ما أنسى الوقت دا أبدًا، العربية خبطت في شجرة وما حصلش لحد أي حاجة إلا الراجل اللي ركب قدام مكاني مات.

تصميم الراكب على المكان ما كانش من فراغ، التأخير شوية علشان العربية تخبط في التوقيت دا ما كانش من فراغ.

القدر كان مستني كل دا علشان ياخد روحه للي خلقها، القدر له نداء، القدر له وقت وظروف عمرها ما هتتأخر.

صديق آخر لي اتأخر على ميعاد القطر في المحطة ربع ساعة على ما وصل، كان رصيف المحطة كله نار وكلنا شوفنا اللي حصل للواقفين على الرصيف، واللي كانوا جوه المحطة السني اللي فاتت

15 دقيقة تأخير لو ما كانوش حصلوا، وصديقي وصل في ميعاده ووقف على الرصيف كان زمانه توفى من وقتها.

الشهيد نور زي ما وصل لي عنه ما كانش بيحب البحر، بس اليوم دا وفي المكان دا قال آخر جملة له ونزل بعدها:

لازم أنزل البحر دلوقتي حالًا.

نور نزل الميه وما طلعش تاني.

ماتأخرش ثانية على نداء القدر له، شهداء شاطئ النخيل بسبب طفل بيغرق نزلوا كلهم لقدرهم مش لإنقاذ الطفل، التلت أخوات اللي نزلوا ورا بعضهم واستشهدوا ما كانش شيء عرضي ولا حادث، إرادة الله في قدره هدتهم للنزول سبحانه له حكمة أرادها قدر كدا.

الحقيقة الوحيدة اللي لازم نعرفها إن مهما حصل في حياتنا من ظروف وأحداث وابتلاءات ما بتبقاش عرضية ولا بالصدفة.

ميعاد فاتك، شخص سابك، مجموع في الثانوية ما دخلتش بيه الكلية اللي عاوزها، تأخرت في الإنجاب ما تزعلش؛ لعل قدرك له كلمه أخرى ولعل ما فاتك هو خير كثير.

ربنا يرحم جميع من استشهد ويصبر أهاليهم، ولعل كل ما حدث بعد الابتلاء العظيم هو درس لنا جميعًا.

مهما اعتليت من مناصب، أو اكتسبت من الحياة، أو خططت لغدا مهما خططت، تأكد إن كل خطوة تخطوها هي خطوة في اتجاه ما قدر لك.

الأخذ بالأسباب ضرورة، ولكن نداء القدر يأتيك بغتة.

2– «ضحايا السوشيال ميديا»

أحمد حسن ومراته زينب، وحمو بيكا، وعادل شكل، وغيرهم وغيرهم.. في الحقيقة ضحايا لإجرامنا إحنا، زعلانين ليه مش فاهم؟

راجل ومراته ناجحين بيقبضوا 30 ألف دولار في الشهر، والباقيين عندهم عربيات بالشيء الفلاني، وبيكسبوا المبلغ الفلاني، وبيتكرموا في كل حتة، وعاملين أفراح وجوايز وكليبات بالشيء الفلاني، إيه اللي مزعلك أنت؟

اوعى تضايق حتى لو نشروا فيديوهات بياكلوا فيها ابنهم بالحيا أو بيشتموك علشان أنت متعلم وهمّ جهلة، أو بيتنمروا عليك علشان بتتنمر عليهم وعلى نجاحهم، أو بيخبطوا عربيتك اللي أنت شقيان فيها في مكان أنت داخله بتحويشة السنة، ويبصوا لك على إنك أصلًا ما لكش مكان وسطهم وإنهم اللي يستحقوا النضافة وأنت لأ.

أنا وأنت اللي عملنا للقرف دا سعر، فما تزعلش لما سعره يعلى وتقول إزاي على دا قرف.

أنا وأنت اللي كل يوم بنشير للناس دي، وبنتفرج عليها وبنضحك وبنعمل ملايين المشاهدات الناس ما تستحقش.

إحنا كلنا مع بعضنا كدا كسبناهم فلوس من تفاهتنا، وعلى قد ما كسبوا وعملوا، وعلى قد ما شوفناهم واتفرجنا عليهم، على قد

ما عليوا وبقوا مشهورين وبقى لهم رأب كمان وبيتنطّطوا بيه علينا.

شوفوا الناس دي مشهورة بقدر تفاهتنا وناجحين بقدر فشلنا، وواصلين بقدر ما اللي يستحق مغمور، زعلانين ليه؟

الموضوع بسيط، شوف الحاجة اللي تستحق، ما تشجعش باطل وترجع تزعل لما صوته يعلى وتقول الباطل انتشر.

وأحمد وزينب مثال لمئات غيرهم بيطلعوا يقرفونا وإحنا مقتنعين إنهم بيقرفونا وما عندناش أدنى مشكلة في إن قرفهم ينتشر ويتوغل وسطنا

في الغنا ومهرجاناته وألفاظها وقرفها، وفي التوك شو وفي التيك توك واليوتيوب وفي كل حاجة.

بنعلي صوت الباطل ونكتم الحق، ولسه بنسأل الحق فين!

الحق إحنا بنتعمد نخفيه بتسقيفنا للباطل، ونرجع نقول هو ليه ما فيش حق؟

إحنا اتعودنا على السيئ وبننشره، ووسطنا مليون حاجة حلوة تانية تستحق النجاح.

يا نبطل نتفرج على الأشكال دي وما نديهومش الفرصة للتسلق والشهرة والنجاح والغنى على أكتافنا، يا نسكت وما نفتحش بوقنا وكل واحد يشوف هو عايش إزاي وخلاص.

3– «حلاوة البدايات»

أفتقد جدًا بداية كل شيء، بل إني لا أتذكر غيرها، ما زلت تتذكر يوم أن خطت قدمي شارعي القديم للعب مع أطفاله وحنيني لوجوههم المحفورة بذاكرتي التي لم يعد موجودًا منها إلا القليل، كيف لي أن أنسى يومي الأول في مدرستي وتحيتي للعلم، ونظرتي إلى زملائي، ورغبتي في التعرف على البعض منهم، ما زلت أتذكر أبي وهو يعلمني ركوب الدراجات، وفرحتي العارمة بأول دراجة اشتراها لي، أول مرة أذهب معه في رحلة صيد هي الأروع بالتأكيد حتى الآن، أول مباراة كرة قدم جمعت شارعي بالشارع المقابل وكيف كان حماسنا وقتها للعب، أول رواية قرأتها، وأول بنت رغبت في التعرف عليها، وأول رحلة قامت بها مدرستي، ما زلت أتذكر أول رمضان صممت أن أصومه وأفعل كما الكبار، أول مرة شعرت فيها بملابس العيد الجديدة وفرحتي بتحضيرها قبله.

لم أنسَ يومًا بداية ظهور البحر وأنا مسافر لقضاء عطلة الصيف، ولا رائحة الربيع القديمة التي كانت تسحر وجداني.

كانت البدايات جميلة، بداية أول خطوة خطاها أخي أمام ناظري ومن بعده ولدي، بدايات الحب وبدايات النجاح وبدايات العمر، كم مرة اتجهنا لأحد الرحلات وكنا نتمنى ألا ينتهي وقت بدايتها، وتزمرنا عند فوات البعض من وقتها، وغم علينا الحزن في طريق عودتنا منها.

دائمًا هي البدايات، ودائمًا ما كانت لكل بداية جميلة نهاية قاسية دومًا، ربما جاءت لحظتها وربما لم تحن بعد.

الفراق، الموت، المرض، البعد، السفر، العمر، الفقر، والعجز، وربما الظروف هي نهايات حتمية لكل بدايتنا.

بعض بداياتي الفائتة، لا أعلم حتى كيف انتهت ولا متى لم أعد أشعر بوجودها.

استمتعوا حقًا بكل لحظها تعيشونها بكل بداية تخطونها، لربما يشاء القدر ألا تستمر كما بدأت وهي كذلك دائمًا، احضنوا أحبائكم بقوة ومتعوا نظركم بكل أشيائكم، لربما كان حضنك ونظرتك وشغفك وحتى حلمك هو البداية التي لن تعود أبدًا.

4- «ما تبعتوش صوركم لحد»

القانون بيعاقب على نشر الصور دي، وبيعاقب أكتر لو كانت البنت أقل من 18 سنة.

اوعوا تصدقوا أي حد يقول لكم إنه بيحبكم، وإن دا عادي بين أي اتنين متصاحبين أو بيحبوا بعض. اوعوا تخلوا لحظة ضعف وإحساس إنكم لوحدكم يخيلكم تعملوا كدا؛ علشان الناس تحبكم، اوعوا تصدقوا أي حد يقول لكم عادي الناس كلها بتعمل كدا، واوعوا تصدقوا أي حد يحلف إن الحاجات دي مش هتطلع بره.

المواقع كلها والسوشيال ميديا مليانة آلاف الصور لبنات وثقوا في اللي عاملين نفسهم بيحبوهم، وللأسف ما حدش منهم كان قد الثقة، بغض النظر عن إن المبدأ أصله غلط.

مئات الأسر اتدمر مستقبلها، وناس اتقتلت، وناس انتحرت، وناس اتفضحت، وناس بقت رد سجون، مش بتكلم هنا عن الأخلاق أنا بتكلم عن الثقة.

الأخلاق بينك وبين ربك، كل واحد يعمل اللي يقدر يتحاسب عليه. الثقة بينك وبين البشر، يا ترى مين في الدنيا دي تقدر تثق إن لو صورك عنده ممكن ما يوريهاش لحد، أو يصورها، أو حتى تتاخد منه من غير ما يعرف؟

الأسباب كتير؛ منها طلب فلوس، الفضيحة، الانتقام، حب النفس والإحساس بالسيطرة. كلها أسباب دنيئة ممكن تخلي بني آدم يشهر ببني آدم تاني.

آلاف القضايا المنظورة قدام المحاكم وفي النيابات عن نشر الصور دي، بس يا ترى حتى لو حقك جالك الصور دي هتتمسح؟

ها هتعملي/ هتعمل إيه؟

5- «يوميات نائب في الانتخابات»

شوية حاجات لازم تعرفها وانت نازل لجنة الانتخابات

دا لو نزلت يعني:

ما تجيبش معاك عيالك وعيال العمارة كلها وتقول لي هيحطوا صباعهم بس في الحبر الفسفوري، إحنا مش في فوم بارتي يا حج، ثم إن دا إهدار حبر فسفوري عام، ثم إن الانتخابات دي من غير حبر أساسًا.

لو تعبان هنزل لك، ولو كبير في السن هطلع لك لحد عندك علشان أنا هنا علشان راحتك، لكن ليه تجي لي على حمار وأطلع لك في حوش المدرسة والحمار يجري بيك وأنا أجري وراك، يرضيك يعني يا حج؟

ما تغرفش صباعك كله في الحبر وتتخض بعدها، وتيجي تنقط عليَّ وتقول لي هات منديل، أنا مش بتاع مناديل يا حج، وبعدين أقسم بالله تاني ما فيش حبر فسفوري الانتخابات دي.

الناس اللي بتاخد القلم الجاف وهي ماشية، أنت إيه؟ تخيل لما أقعد معطل الناس تنتخب لحد ما أجيب قلم من مكتبة العواف اللي على أول الشارع علشان حضرتك طمعت في القلم الجاف...

تخيلت؟

طب إيه بقى؟

يعني هو طبيعي إن في صندوق شفاف كدا بنحط فيه الورقة بعد ما بنختار اللي إحنا عاوزينه! فما تجيش تقول لي بعد ما تختار أحطها فين علشان عيب.

أنا ما ليش دعوة أنت هتختار إيه فما تدخلش معايا في نقاش، وتقول لي أنت إيه رأيك اختار إيه، وتحط إيدك على دقنك كدا، وتفكر معايا دي مش جريدة تحرير المصري اليوم، يا حج علم أو علمي على اللي أنت عاوزاه.

الناس بقى اللي بتدخل مبتسمة وتقول لي أنا هختار كذا بصوت عالي وسط اللجنة، وطبعًا البسمة مش بتفارق وشهم لحد ما يخلصوا ويطلعوا يقفوا عند الباب ويبصوا لي تاني ويضحكوا ويقولوا برده بصوت عالي إحنا اخترنا كذا، بيفكروني لما كنت صغير وأرن جرس الباب بتاع الجيران، وما كنتش بجري إلا لما يفتحوا لي، كنت فاهم الموضوع غلط.

في ناس محترمة بتدخل لفّة نفسها بعلم مصر، وناس طرحتها علم مصر، كل دول على راسي وشعور نبيل الحلفاوي وكدا، لكن تدخل لابس لي سبايدر مان ليه؟ جاوبني بالله عليك ليه؟

العريس والعروسة اللي بيجهزوا نفسهم يجوا يتجوزوا في اللجنة، وحياة الصداق المسمى بيننا أنا تعبان دا عرس انتخابي مش عرس أمك.

اللي عامل فيها من بنها، اللي بيقول لي أنا عندي حساسية مش هينفع أحط صباعي في الحبر الفسفوري، أيوة شوفت أنت قلت إيه فسفوري يعني، مش أحمر كبريتات البوتاسيم، ولا أصفر أوكسيد

الصوديوم وأنا مرارتي فيها أصلًا حساسية فبوراحة، وبعدين وأيمانات الله ما فيش حبر فسفوري أساسًا في الانتخابات دي.

بالنسبة للكائن المصري الليمبي، اللي لا معاه بطاقة ولا شهادة ميلاد ولا باسبور ولا كارت تموين حتى، واللي هو أي لجنة يخشها وخلاص؟ دا وجاي يبتسم برده ويقول أنا عاوز أنتخب اللي هو تحسه داخل مراجيح السبتية، مكانك مش هنا والله يا حج.

في واحد كدا بيجي لي كل كام ساعة ويقول لي مش ناقصك حاجة أجيب لك شاي، طب تاكل وعمري ما عرفته وعمري ما عرفت هو تبع مين، نصيحة ما تجيش تاني علشان أنت فاضل لك تكتب مخبر على راسك وأنت داخل.

ما فيش حاجة اسمها تنزل اللجنة بشورت وحمالات بيضاء، حضرتك مش رايح شاطئ النرجس، تمام ولا إيه؟

إحنا بنقعد من تسعه الصبح لتسعة بليل ويمكن أكتر، وتلت أيام وراء بعض وحضرتك بتيجي دا لو جيت دقيقة وتمشى فبوراحة وهننبسط كلنا والله وهننتخب انا وانت وخالتوا وكل الناس وانتخابات سعيدة ان شاء الله

آه صحيح قبل ما أنسى الانتخابات دي، اسمها مجلس الشيوخ مش مجلس الشعب، دي حاجة ودي حاجة وما تجيش تقولي إيه الفرق بين الاتنين والنبي؛ لأن نص المرشحين أصلا مش عارفين الفرق وأنا تعبت من الشرح، أنا والله عندي جيوب أنفية ووجعاني فاهمني؟

سيادة المواطن المهم، الانتخابات في العالم كله مقياس للديمقراطية، وصوتك مهم حتى لو أبطلته، بس هو أمانة، الرفض

أو الموافقة من بره مش هيعبر عن رأيك بس هيدي فرصة للي عبر أيًّا كان رأيه بالانتصار على رأيك، وساعتها ما تبقاش تشتكي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

6- «إغراء السلطة»

قاعدة عامة:

لا سلطة لإنسان على إنسان، ولا فرق بين أحدهم عند الله سوى تقواه.

كانت مقولة قالها أحد المشايخ في صلاة جمعة، وأكدها لي أبويا طول العمر بتصرفاته مع الناس.

في الصلاة ما فيش عمدة وغفير ووزير وفقير، كله بيقف جانب بعضه، كلنا سواسية قدام ربنا، ربنا ما قسمناش صفوف الأغنياء قدام والفقراء وراء، ولا المتعلمين يمين والجهلة شمال، لأ ربنا قسمنا نفوس وقلوب وكل قلب وتقواه.

أما أبويا فكان أكثر أهل الأرض تواضعًا، شربت منه حسن المعاملة والصدقة والأخذ بإيد الغلبان مرة، كنت راكب معاه العربية وشاف راجل عجوز بيعرج على عصايا، وكانت الدنيا حر فوقف وصمم إنه يركب العربية معانا، ووصله لحد باب بيته رغم بُعد المشوار، كان يفاصل التاجر ويسيب للمحتاج بزيادة، كنت أتضايق من فصاله يقول لي دي فلوس ناس تانية، مع الوقت عرفت إن فيه ناس مخصصة لها حاجة شهرية، وعمره ما اتكلم في الموضوع دا، وعمرهم ما حسوا إنه إحسان بقدر ما كان محسسهم إنه واجب من ربنا ولازم ينجح فيه، وإنهم يستحقوا كل شيء بياخدوه، وإنه ما

دام عرف بحالهم ويقدر يساعدهم وما عملش يبقى هيتحاسب على كدا قدام ربنا. كان دايمًا يجي لنا البيت ناس من البلد ومن الشارع ومن الجيران وكلهم طبقات مختلفة اجتماعيًّا، وفي تباعد اجتماعي بين كل واحد والتاني فيهم كبير وملحوظ، عمره ما قابل حد فيهم بوش غير التاني، كانوا كلهم أصحابه، وكانت ضحكته بتطلع من القلب مع كل واحد فيهم، عمره وأشهد الله على ذلك ما وصى عليّ في مدرسة أو كلية أو شغل، رغم إنه يقدر وهمّ يتمنوا التوصية دي، كان يشد عليّ علشان أذاكر ومش علشان أنجح.. لأ، علشان أطلع الأول، وكان دايمًا ينبهني إني لو ما تفوقتش يبقى ماستحقش اللي يعرفني كويس، عارف إن في أي مرحلة من مراحل الدراسة كنت دايمًا من الأوائل، دي مش شطارة مني على قد ما كان تحدي بيني وبين نفسي إني أستحق وإن والدي العظيم يستحق بتعبه معايا إنه يشوفني في المكان اللي أستحقه.

ما فهمتش معنى القاعدة دي أوي غير لما اشتغلت في وظيفتي، لما لاحظت تلقائيًا إني متشبع بكل تصرف وكل حاجة أبويا علمها لي من غير ما أقصدها. المحامي، الظابط، الحرس، الموظفين، العمال، الجمهور، وحتى المتهمين، جميعهم لم ينالوا إلا حسن المعاملة، لم آتِ على أحدهم لحساب الآخر.

ما فتكرش مرة إني قلت لحد مثلا أنت نسيت نفسك ولا ما تعرفش بتكلم مين ولا الكلام الفاضي دا.

بالعكس كنت أحتقر من يتعامل بتلك الطريقة في نفسي وإن كانت هناك أولوية عندي، فكانت لذوي الحاجة الملحة، وكنت أخدمهم والله يشهد على ذلك كما لو كان أمامى رئيس الجمهورية

ذاته. كانت المحبة سائدة وكان الموظفين لا يؤدون واجبتهم مجبورين وإنما حبًا وتعاونًا.

صحيح لم أغير الكون ولكني غيرت مَن حولي بمعاملتي لهم، صحيح لم أُقدم مجهودًا في عملي يزيد على مجهود زملائي ولكن كان ما قدمته بالحب وكان له طعمًا ومردودًا في نفوس من حولي.

لحد دلوقتي كل اللي اشتغلت معاهم من أول يوم بيتطمنوا عليَّ، ولحد دلوقتي: السادة المحامين، والظباط، والموظفين والعمال، والحرس اللي اتعاملت معاهم منذ ما يقارب العشر سنوات تجمعنا المعاملة الطيبة والسؤال والود دون مصلحة، وحتى إن كانت هناك مصلحة فنقدمها لبعضنا بكل ود وأخوة.

حقيقي أنا ممتن لكل اللي عرفتهم، وآسف لو زعلت حد مني أو قصرت في واجبي تجاهه، وآسف لو بس حس من نبرة صوتي أي تعالي أو زهق أو نكران.

حط القاعدة دي في دماغك وافهمها كويس وطبقها طول الوقت.

حضرتك لو صاحب سلطة فلازم تفهم إن السلطة دي مستمدة من القانون والإلتزام والقواعد، فلما تيجي تمارس السلطة على حد أنت مش بتمارس سلطانك لا أنت بتمارس سلطان القانون وبتنفذه.

كل الكراسي زائله، وجميع السلطات تداول بين الناس، ولكن الحب والود والذكرى الحسنة لا تتداول ولا تزول: هي الشيء الوحيد الذي يبقى،

لا تجامل غنيًا على حساب فقير ولا تنفذ قانون للقوي وتتركه للضعيف، وعامل الجميع كما تحب أن تعامل، وضع دائمًا هذا السؤال أمام عينيك تَسْلم:

ماذا لو كنت مكان من أمامي؟

وتذكر القاعدة الأبدية: «لا سلطة لإنسان على إنسان، ولا فرق بين أحدٍ عند الله إلا بتقواه».

7– «الجوكر»

رد الفعل الأصعب هو رد فعل الإنسان الطيب اللي ياما اتحمل...

يعتبر مشهد القطر في فيلم الجوكر هو المسترسين في الفيلم.

المشهد اللي كل حاجة بعده اختلفت عن اللي قبله.

الإنسان الطيب اللي ياما اتحمل أذى وتنمّر على مرضه وشكله وخيانة من أصدقائه، وطرد من العمل، واستهزاء بالحاجة اللي بيحبها خلاص فاض بيه، وجاله الوقت اللي يطلع فيه غضبه فيجي مشهد القطر اللي فيه تلاته شباب من الطبقة اللي ياما ماستحملتوش ولا اهتمت بيه ويعاكسوا البنت دي قدامه ويتحرشوا بيها وهو في قمة يأسه أصلا، ولسه مطرود من شغله، وعاجز عن إنه يعمل لها حاجة؛ ولأنه مريض مرض مزمن بيخليه يضحك بطريقة هيستيرية دون إرادة منه وبدون ما يكون دا اللي جواه ساب الشباب البنت وراحوا له يستهزءوا بيه ويتنمروا عليه، ولما حاول يشرح لهم إنه مريض وإنه ما يقصدش يضحك زودوها معاه ورموه على الأرض، وفاق تحمله الحد، طلع مسدس وقتلهم التلاته بدون أي شفقة لا منه ولا من أي حد شاف المشهد.

فيه ناس بتستغل طيبة اللي قدامها بزياة، وبتستغل عدم قدرتهم على اتخاذ رد فعل فتزود الجرعة من كل حاجة تضايقه.

اوعى تفتكر إن كتر تريقتك على صاحبك وشكله وكرشه ولبسه ولغته قدام باقي أصحابك عشان تضحكهم عليه هيفضل طول الوقت؟

اوعى تفتكر إنك لما تكسر قلب حد بتحبه مرة واتنين وعشرة وتستغل حبه لك هيفضل؟

اوعى تفتكر إن كسرك لموظف، أو عامل شغال عندك أو معاك، وتستغل إنه ما بيعرفش يقول «لأ» أو «أنا مشغول» هيفضل؟

اوعى تضحك على حد عنده إعاقة جسدية أو عقلية، وتفتكر إن إعاقته منعاه يحس ويحب ويكره، اوعى تفتكر إنه هيفضل ساكت؟

اوعى تضرب حيوان جامد أو تعذبه وتفتكر إنه معمول من غير قلب واوعى تفتكر إن كل دا هيعدى؟

اوعى تستقبل رد فعل الناس دي أبدًا؛ لأنه أقسى رد فعل ممكن تشوفه في حياتك.

يا تكون قد مسؤولية إنك لسه إنسان وتعامل الناس بإنسانية يا إما تستحمل نتيجة أفعالك، يا إما تجبر خواطر الناس وتاخد بإيدهم وتديهم مساحتهم عشان يقدروا يعبروا عن اللي جواهم، يا أما تتقبل ردة فعلهم لما تخرج من جواهم الجوكر.

8- «دليل حبك»

ستيفن ويبر جونيور فاجأ حبيبته وهو في تنزانيا بإنه نزل تحت المايه وطلب منها الزواج، المشكلة إنه وهو طالع من المايه غرق ومات ولايف كمان، بس كدا الشاهد من القصة إن فيه ناس كتير بتحاول تعمل المستحيل عشان تثبت حبها للطرف التاني، وقد إيه همَّ يستحقوهم المعافرة حلوة والتضحية جميلة.

بس مش كدا في الآخر حبيبته دي هتتجوز حد تاني مش هتنتحر يعني عشانه، ولو حبيبها الجديد دا قدم لها خاتم الجواز بطريقة حلوة برده هتحبه زي دا ويمكن أكتر.

مش لازم الطرف التاني عمومًا يشوف منك حاجة مستحيلة عشان يحبك. الكلمة تكفي اللي بيحبك، الوردة تكفي اللي بيحبك، الحضن يكفي اللي بيحبك. اللي بيحبك عمومًا مش محتاج أي حاجة واو عشان تثبت له حبك. كفاية وجودك جانبه وإحساسك بحبه ليك فيه ناس أصلًا ما بتعرفش تعبر بس جواها أحاسيس أكتر وأصدق بكتير من اللي بيعرفوا يقولوها ويعملوها.

بطلوا منظرة ورفع فيديوهات وشكولاتات وعربيات، غالبًا العلاقة دي كدابة ومش هتكمل أصلًا، ولو كملت ما حدش هيسيبكم في حالكم، الحب حلو، ومغامرات الحب حلوة، بس صدقني في الآخر ما حدش هيحس بوجع ولا مشاعر حد.

عيشوا حياتكم ببساطة، وصدقوا اللي جواكم من غير إثباتات.

ساعتها يا تبقوا أسعد ناس، يا تبقوا زي عمنا ستيفن الله يرحمه.

9- «الخليك في حالك»

سؤال بسيط لحضرتك عزيزي العزيز:

هل نقد حضرتك لحياة الناس الخاصة هيغير حياتك للأفضل؟

طب هل هو هيغير حياة الناس دي نفسها للأفضل؟

قطعا لأ.. وخليني أشرح لك إزاي بمثال بسيط: «معانا بنتين واحدة اسمها رانيا، والتانية اسمها هانيا».

ما تركزش في الأسامي، ركز معايا وحياة خالتك. رانيا محجبة وهانيا مش محجبة، رانيا نزلت صوره لها بالحجاب.

أ- عارفها وعارف إنها مؤدبة وبنت ناس وكتب لها كومنت جميل.

ب- شافها بتلبس ضيق ودخل يعلق على لبسها.

ج- معترض على طريقة لبسها للحجاب، وإنه لازم يتلبس بطريقة تانية، وعلق على حجابها.

د- معترض على نشرها للصورة أصلا ودخل يقول لها تلبس نقاب.

هـ- دخل شتمها وتنمر على حواجبها وكرها في عيشتها.

و- دخلها خاص وطلب إنه ينام معاها.

هانيا عملت زي رانيا ونزلت صورتها عادي من غير حجاب.

أ- برده عارفها وعارف أخلاقها وعلق تعليق عادي خالص.

ب- فصصها ودخل يعلق على كل تفصيلة في جسمها.

ج- دخل يكلمها عن ضرورة الحجاب وإنها آثمة.

د- شايفها كافرة أصلًا ودخل قال ها هتخشي النار.

ه- دخل شتمها شتايم قبيحة

و- دخلها خاص وطلب أنه ينام معاها

تفتكر عزيزي العزيز إن أ، ب، ج، د، ه، و حياتهم اتغيرت بعد التعليقات دي كلها؟

ما قلنا لأ، أنت لسه هتفكر. طيب تفتكر بقى إن رانيا وهانيا اتغيرت حياتهم للأفضل بعد تعليقات الناس الجمال دول؟

يعني هل رانيا لبست نقاب أو هانيا اتحجبت أو دا هيغير في قرارهم بعد كل التعليقات السخيفة على شكلهم وجسمهم ولبسهم؟

ما تفكرش صدقني، برده لأ.

طيب هتقول لي إن فيه ناس بتتكلم من باب النصيحة؟

حضرتك أخوهم، أبوهم، أمهم، خطيبهم، المدرس بتاعهم في الفصل، رجل الدين اللي بياخدوا رأيه؟ طيب همَّ طلبوا منك النصيحة؟

إيه بتقول لأ!

يبقى حضرتك مال أهلك!

لا ما تزعلش واجه نفسك كدا وخليك شجاع أنت مال أهلك فعلا؟

بعنى هل حضرتك خلصت على عيوبك وداخل تشوف عيوب الناس بقى وتصححها؟ أكيد برده لأ.

طيب خلاص ما تزعلش عزيزي العزيز هجيبها لك ببساطة طيب.

أكتر حاجة عليها عقاب من ربنا، وأول كبيرة هي الشرك بالله.

ربنا –سبحانه وتعالى– نفسه بيقول إيه؟

لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين.

وقال كمان: «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر».

يعني ربنا –جل جلاله– إدانا حرية الاختيار حتى في عبادته وبالبلدي كدا اللي عاوز يعمل حاجة يعملها وكل واحد يجزي بما عمل، حضرتك مش وصي على حد وليك حق التربية والنصيحة على ذويك فقط لا غير.

بالبلدي أكتر.. صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي.

مش مقتنع؟

طيب ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول برده:

«إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء».

يعني من باب أول ربنا خصص الهداية بالناس اللي أنت بتحبهم. مش أي حد كدا وخلاص.. حضرتك تروح تعمل نفسك عليه حامي الحمى وخصوصًا يعنى إنك مش شيخ الأزهر ولا البابا ولا من أولى الأمر على الناس.

ومن باب تاني حتى لو همَّ يخصوك مش هيعملوا اللي انت عاوزه إلا لما يكون قلبهم مهيأ لذلك، وربنا شرح صدرهم للهداية. كلامك دا ممكن توجهه لنفسك يمكن ربنا يهديك.

طبعا الست رانيا والست هانيا على راسنا، بس دول مثال صغير أوي للي بيحصل حوالينا وفي كل حاجة.

يعني الكلام دا بيحصل بين محمد وجورج في الدين، وبين جوز رشا وجوز علا في رزقهم ومهنتهم وفلوسهم وعيالهم، وبين عادل ومصطفى في الكُرة.

يا راجل دا إحنا بنعلق وبنتنمر على البكيني والبوركيني وبنعمل عليهم حوارات الخير اللي بيعمله صلاح ولا أبو تريكة، أحمد زاهر ديوث ولا مش ديوث، ربنا هيرحم مبارك ولا لأ تجوز عليه الرحمة.

يا عزيزي الزفت أنت مال أهلك؟ خليك في أهلك يا أخي!

هو ربنا مستنى رأيك في الناس عشان يحاسبهم أو تحكم عليهم؟

صدقني لو خليتك في حالك وركزت مع ذنوبك والناس اللي يخصوك المجتمع هيبقى أحلى بكتير، وهنفضى لمشاكل حقيقية محتاجين نواجهها فعلًا.

ورانيا وهانيا وأنت وتيتة وكلنا هنبقى سعدا فعلًا، ورأيك الجميل دا في حياة الناس الشخصية هيبقى مفيد صدقني لو خليته لنفسك.

بره الناس بتنتج عشان كل واحد في حالة يا سيد مُحي مش عشان بيركزوا في حياة بعضهم البعض. بيركزوا في نفسهم

ومواعيدهم وحياتهم وحياة أولادهم وبس، وهو دا الفرق العملاق اللي عامل لاج بينا وبينهم أصل ما حدش هيتحاسب مكان حد.

حياة الناس الشخصية مش لعبة لحضراتنا والحلال بين والحرام بيِّن، والناس زينا عندها عقل مش حكر على حضرتك، ويقدروا بيه يميزوا بين الحلال والحرام، وكمان علاقة كل واحد بربه ما حدش ليه دخل فيها وما تقدرش مهما عملت تحكم عليها، بل بالعكس إحنا ممكن نقع في أخطاء دينية زي قذف محصنات أو رمي الناس بالباطل، بالإضافة إلى الغيبة والنميمة، أو نقع في جرائم جنائية زي السب والقذف والتشهير والتنمر والتعرض لحرمة الحياة الخاصة، فليه أصلا؟

حياتنا هتبقى ذات جدوى بس لو اقتنعنا المبدأ العظيم دا إلا وهو:

«الخليك في حالك».

***

بقلمكم

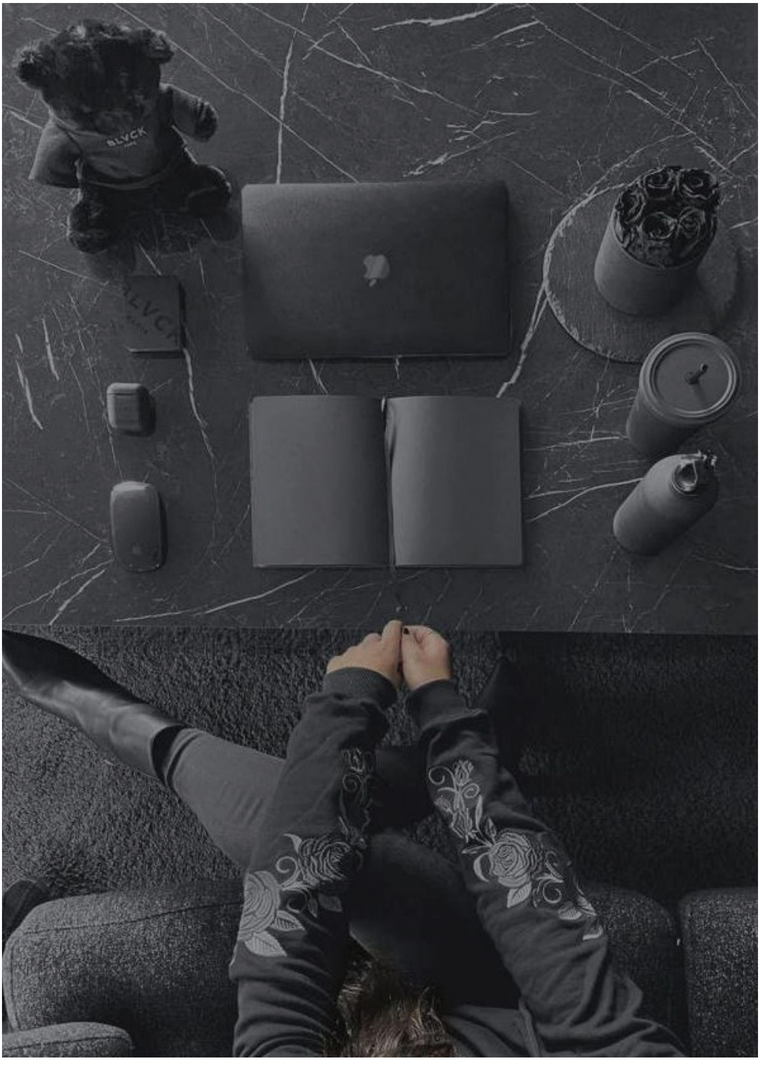

لأنكم أعطيتموني الفرصة وكان هذا العمل، فكان لزامًا علي أن أفعل المثل. وكان لزاما أن يرى الناس ما سطرتموه بقلمكم.

1- لحظات مشتعلة

بقلم: أحمد فراج.

لم أكن أعلم أن اللحظات التي سيستغرقها المصعد ليهبط من الطابق الرابع إلى الطابق السفلي ستكفي لتغيير مجرى حياتي إلى الأبد.

إنه يوم مشمس لا يخلو من بعض النسمات اللطيفة، تحمل معها عبق غبار الخريف، استيقظت يومها على غير العادة مبكرًا عن موعد استيقاظي المعتاد بخمس ساعات، إنها الآن تشير إلى الثالثة عصرًا، ماذا سأفعل في يوم قد بدأ قبل أن يولد بكثير، استيقظت وأنا أعارك ذبابَ وجهي، التقطت اللاب توب الراقد أسفل كوم من زجاجات البيرة الفارغة. بحثت على زر التشغيل كمن يبحث علي إبرة في كومة قش، وبعد محاولات كثيرة باءت جميعها بالفشل، جعلت عروق رأسي تنبض غضبًا وجدته ليعلن بعدها اللاب توب عن عدم رضاه على تلك المعاملة السيئة مُصدِّرًا صافرة دامت لثانيتين على الأقل، تركته يصدر صرير مروحته المستفز وجررت أقدامي خارجًا من الغرفة أبحث عن ذلك المخروط الساحر، نعم لقد تركته بالأمس. هي مكان ما لا أتذكر أين هو، لقد كانت تلك المرة الأولى التي أخلد بها إلى فراشي وأنا تارك خلفي حشيشًا متبقيًا من سهرة معبأة بذلك الدخان الأزرق الذي يتطاير آخذًا معه جزءًا

لا بأس به من عقلي الواعي مطلقًا العنان لعقلي الباطن في الخروج من بوابات العقل الواعي، ذلك الجزء من المخ الذي لا يعرف المستحيل، أشعلت سيجارتي الأخيرة وذهبت نحو الثلاجة أبحث عن زجاجة بيرة، فلم أجد مائي ذات الطعم المر الحارق للجوف كيف! لقد كان هنالك زجاجة متبقية لأجل الاصطباحة المعتادة، لقد وضعتها بيدي ليلة أمس. فتحت باب الفريزر الذي قام بدوره بإصدار زفرته المجمدة التي كوت أنفاسي من شدة برودتها، فوجدت معشوقتي ومياهي بداخلها قد تحولت إلى قطعة ثلج أشبهه بجبل تايتانك الشهير. نعم، لقد تذكَّرت..

بالأمس أحضرت زجاجتين ساخنتين، وضعت واحدة في الثلاجة والأخرى داخل هذا الدب القطبي لتنخفض حرارتها سريعًا وأستطيع شربها مع سجائري المحشوة ونسيت أمرها وشربت الزجاجة الأخرى، حملت جبل الثلج وذهبت به إلى المطبخ أبحث عن حلة كبيرة ملأتها بالماء ووضعت الزجاجة بداخلها وأشعلت النيران من أسفلها حتى يتحول الثلج سريعًا إلى مياه صفراء حتى يستطيع ذلك اللون الذهبي بإمداد دمائي بجرعة الكحول اليومية. تركت زجاجتي ودلفت إلى الغرفة لأتابع اللاب توب الملْقي على السرير وهو مصدرٌ صوت نغماتِ الويندوز معلنًا عن إمكاناتي في هتك عرض زرائر الماوس التي لا تستجيب لضغطاتي المتكررة بسهولة. عانيت حتى استطعت تشغيل قائمة الموسيقى المحفوظة على سطح المكتب، لحظات واهتزت طبلة أذني بصوت Amy Lee العذب برائعتها Hunted، خرجت من الغرفة أشعلت مصباح الحمام استعدادً للاستحمام.

«I know you still there» دخلت وأغلقت الباب خلفي، فتحت المياه لأتركها تتخلل مفاصلي، أطلقت العنان إلى جسدي ليقوم بحركاته اللاإرادية بين قطرات المياه المتجمعة داخل حوض الاستحمام ليتراقص مع نغمات الموسيقى وخرير المياه «I am going under»

خمدت ثورة عقلي الواعي وانطبق جزؤه اللاواعي ليتلاعب بجوانب وأركان الحياة من أمامي، مر شريط من الهواجس والذكريات لا أستطيع تذكره لا أرى منه الآن سوى صورتي عاريًا وسط أمطار الصنبور الغزيرة خرجت من الحمام حول خصري منشفة ويتساقط من جسدي ماء كان كافيًا ليعيد ترتيب حبيبات التراب على الأرض وتحويلها إلى وحل، ارتديت ملابسي ولا يزال اللاب توب يصدر نغماته «Ash to ash Dust to dust, Fade to black»

انتهيت من ارتداء ملابسي سريعًا، بحثت على علبة سجائري فترة حتى وجدتها ملقاة بين سلة المهملات التي ثارت بمحتوياتها كبركان خامد منذ ملايين السنين أخفت وراءه الجزء السفلي من الحائط، تذكرت أنني أشعلت سيجارتي الأخيرة وأنا نائم على سريري الممتلئ بالثقوب السوداء نتيجة نومي دائمًا وتركي للسيجارة مشتعلة بين يداي.

أخذت محفظتي وسلسلة مفاتيحي وهاتفي المحمول من على كرسي في أحد أركان الغرفة خرجت إلى الصالة لأبحث عن نظارتي الشمسية، فأنا لم أستعملها منذ فترة لا أتذكرها ولا أتذكر أيضًا أين وضعتها، وجدتها خلف التلفاز، لقد مر وقت طويل لم أرَ فيه نور الصباح، لبست نظارتي وأنا أستمع إلى صوت طقطقه مجهول

المصدر والهوية، لم أعره انتباهًا، فتحت باب شقتي وضغطت زر المصعد ليأتي بعد ثوانٍ قليلة. فتحت ذلك الباب المعدني مستمعًا إلى صريره واحتكاكه بأرض المبنى، دخلت إلى المصعد وضغطت زر الطابق الأرضي ولا يزال المصعد يعلن رفضه التام لذلك الاحتكاك بصوت صريره المتألم. أغلق الباب بصوت أشبه بصوت تحطم الزجاج، إنها المرة الأولى التي يصدر بها هذا الصوت المكتوم، لكن لن نستبعد أن يكون قد أضاف إلى طريقة تعبيره عن ألم سنوات الاستعمال ذلك الصوت. هبط المصعد في ثوانٍ قليلة تكفي لأن أنظر إلى مرآة المصعد لأرى وجهي ذا البقع السوداء أسفل العينين، قد تكون علامات السهر والإجهاد كما يقول الأقارب وبعض الأصدقاء، لكن لمن يعلم حقيقة الأمر، هي مجرد علامات عادية لمدمن خمر حقير لا يفعل شيئًا سوى تجرع الخمور ولف السجائر المحشوة يوميًا، خرجت من المصعد وما إن تحركت خطوتين إذا بجدران المبنى تهتز بشدة وكأن هنالك زلزال بقوة 11 ريختر ضرب به، ولكن هذا ليس بزلزال إنه صوت انفجار مدوي ثقب أذني وأزال آخر صوت للنغمات تخللها قبل نزولي بلحظات «Now I will tell you what I have done for you»

تجمدت في موقعي محاولًا استيعاب ما يحدث حتى سمعت صوتًا من خارج أحضان المبنى، إنه حريق في الطابق الرابع، صعدت مهرولًا على الدرج أسابق أنفاسي اللاهثة لأجد الدخان يخرج من باب شقتي المفتوح، وهنالك بعض السكان منهم من يصرخ باسمي، ومنهم من يركض لأسفل كي ينجو بنفسه، بعد ساعات مرت وكأنها ثوانٍ أطفأنا الشقة التي تحولت إلى كومة رماد، لم أكن أعلم أن

اللحظات التي سيستغرقها المصعد ليهبط من الطابق الرابع إلى الطابق السفلي ستكون كافية لأنجو من موت محتوم، فبعد أن خرجت من شقتي حتى انفجرت زجاجة البيرة فقد نسيتها على النيران لتتزايد حراراتها كثيرًا. انفجرت وقطعت معها خرطوم الغاز الذي انفجر هو أيضًا معلنًا عن غضبه جراء ذلك الجرح النافذ الذي أصابه جراء سهوي ليعاقبني بحرقي بنيرانه، ولكن باءت محاولته بالفشل هذه المرة ولم يستطِع معاقبتي على سكري وعدم مبالاتي، لكنه نجح في أن يحرق آثار ذلك الماضي الذي أندم الآن على تذكري له.

***

المشرحة

بقلم: أحمد خالد.

توب علينا يا رب بقى من شغلانه الجثث دي

جملة يغمغم بها عم سعيد، العامل الأقدم في إحدى مشارح الجثث الشهيرة بعدما أخبره رئيسة المباشر بالانتظار حيثما كان يهمّ بالرحيل.

- استنى يا عم سعيد معلش علشان في جثة جاية كمان ربع ساعة، وأنت البركة بتاعنا.

يشيح برأسه بالموافقة

- حاضر يا بني.

عم سعيد كهل قصير يبلغ من العمر أرذله، خط الشيب في شعره حكايات مع الجثث التي رآها. ترى تجاعيد وجه التي انهالت عليه بلا رحمة، فالزمان كما كان يقول: «قاسي يا بني ما بيرحمش حد».

ولكنه كان دائمًا ما يردد:

الشباب شباب القلب تختفي قصص وحكايات بين تلك التجاعيد عن عالم الموتى. انحنى ظهره من كثرة ما حمل من جثث، حتى أصبح الأمر كحمل بطيخة ليدخل السرور على قلب أولاده.

يجلس عم سعيد في انتظار الجثة، قام بإعداد قدح من الشاي، جلس في الصرح الكبير الذي يسمونه: «الثلاجة».

غرفة شاهقة الارتفاع يمينها ويسارها ثلاجات حفظ الموتى، إنها منتظمة مرصوصة بإحكام مثلما تحمل.

يضع قدمًا فوق الأخرى، ينفث دخان سيجارته رغم علمه بعدم جواز ذلك وقدسية احترام الأموات، يشيح بنظره إلى أعلى، يتذكر اليوم الذي لن ينساه طوال حياته، يوم عمله مع جثة أسيل، تلك الفتاة التي تعرضت للاغتصاب بالتناوب من قبل ثلاثة ذئاب بشرية ومن ثم انهالوا عليها باللكمات والركلات حتى فارقت الحياة.

يحمل عم سعيد الجثة، يضعها على المنضدة مع زميله حتى يقوموا باللازم، كان عم سعيد ما زال في ريعان شبابه.

يستأذن زميله بالانصراف لإجراء مكالمة هاتفية، فهو بانتظار: «مبروك جالك ولد في أي وقت».

يدير عم سعيد ظهره ليجهز المعدات، يلف ظهره مرة أخرى ويقول: «ما هذا؟ الأموات لا يستيقظون»؟

وجد الفتاة في وضع نصف الجالس، تستر عورة نصفها العلوى بالملاءة البيضاء التي غطوها بها، قدماها مدودة وتظهر آخرها عن أعقاب أُدميت من كثرة ما قاومت في الأرض، رأسها مائل إلى الأسفل، سوداء شعرها الحالك المغمور بالتراب، يقتل الأمان في نفس عم سعيد. ترى ما يخبئ؟

– بسم الله الرحمن الرحيم انصرفي انصرفي.

ترفع الفتاة وجهها مباشرة لسعيد.

يا إلهي! أي حرب طاحنة دارت في وجهها؟! كدمات في عينيها وشفتيها ووجنتيها، ازرقاق واحمرار، دماء وتراب ولعاب يروي هذا الخليط ما عانت تلك الفتاة من يغتال هذه البراءة؟ من هذا الوحش الذي يفعل ذلك؟ تمد الفتاة يدها اليمنى لعم سعيد وما زالت تستر عورتها بالأخرى، وينفجر وجهها بالبكاء، بكاء حارق تشكو دموعه مر ما شاهدته قبل موتها لم تجد من ينقذها، يعلو صوت بكائها كما ارتفع صراخها علَّ أحد ينقذها، تبكي أكثر وكما بكت أمامهم ليرحموا عذريتها، يعلو الصوت أكثر وأكثر وأكثر.

– عم سعيد، عم سعيد مالك أنت كويس؟!

– آه.. آه يا بني كويس.

اختفى المشهد، اختفى كل شيء، ولكنه لم يختفِ من ذاكرة عم سعيد. هذا الكهل هو الوحيد الذي شكت له روح تلك الفتاة المسكينة منذ تلك اللحظة، يسمع من حين لآخر صوت بكاء شديد ويتوقف فجأة، كان يشعر رغم مرور الوقت أنها ما زالت تتذكره هو الوحيد التي شكت له.

أنهى كوب الشاي، همَّ من مكانه، اتجه نحو الباب، توقف للحظة.. صوت بكاء كالذي سمعه وراءه منذ عشرين عامًا، ما زالت تتذكرك أيها العجوز.

يبتسم عم سعيد ابتسامة خفيفة ثم يرحل.

عدالة فيروس

بقلم: أحمد خالد.

– إنها العدالة الآن يا زعيم، إنهم محاصرون، محسورون، مشتتون، هائمون على وجوههم، يقتلهم الشك؛ فالأخ يشك بأخيه لمجرد سلعة.

– لا شك في أنك أرعبتهم وبسببك، اُتخذت تدابير لم تتخذ من زمن، ولكن.. ما النهاية؟!

– سأجعل كبيرهم وشجاعهم عبرة لمن لا يعتبر، أتظن أنَّ حصد أرواح أحبائهم أمرٌ هين عليهم؟ يظلون شجعان حتى يفقدوا أعز من بجانبهم.

– ومن ثم؟!

– سأنسحب يا زعيم، لقد أُرسلت لمهمة ما وبمجرد إنجازها سأنسحب.

– تنسحب؟! بعد كل هذه المعاناة التي عانوها بسببك؟! بعد أقربائهم الذين ستبعدوهم واستوبؤهم؟ أنت حقا تمزح!

– يا زعيم، أنت السيد «كورونا الأعظم» كبير عائلتنا وأنا مجرد تخليقة صغيرة من سلالتك. إن أجساد بني البشر مليئة بالخطايا، عقولهم مغمورة بالدنس، في أعينهم غشاوة. ألا ترى ما وصلوا إليه من التزام؟! إلا أجشعهم! وسيعاقب سريعًا! ألم ترَ اتحادهم!

– حسنًا يا صغيري، فلتفعل ما تريد، ولكن تذكر.. إن العبث بزمام الأمور وعدم القدرة على إدارتها كارثة. تذكر.. إن لكل أقربائنا نهاية! فلتنسحب عندما يلزم الأمر، فلقد تركت بصمتك ووصمتهم إلى نهاية العمر.

– سمعًا لك يا زعيم، ولكن بني البشر ينسون سريعًا، فإن انسحبت لا بد لهم من كبوة أخرى حتى يستفيقوا.

تحيات إليك من أحدث ابن في عائلتك «covid–19»

سلاما يا زعيم.

سائق التاكسي

بقلم: مريم محمود الدالي

أقف تحت أشعة الشمس الحارقة في وسط الزحام الشديد وقد تكدست الشوارع بالسيارات، فهذا وقت عودة الموظفين إلى منازلهم. بدأتُ أشعر بالضيق، وبعد مرور قرابة ربع ساعة جاءت سيارة أجرة فأوقفتها وترجلت بداخلها وأنا أشعر بالخوف الشديد، فهذه أول مرة أركب سيارة أجرة بمفردي. أمسكت هاتفي وقمت بعمل مكالمة هاتفية للاطمئنان على والدتي، ولأشعر أيضًا بالاطمئنان وأنزع الخوف الذي بداخلي، فأجابت والدتي وقالت لي بصوت كم أشعر بالراحة والأمان عندما أستمع إليه:

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أخبارك يا بنتي.

أجبتُ وابتسامتي تزيّن ثغري:

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أنا في زحام من النعم الحمد لله.. طمنيني عنك يا أمي.

– في نعمة الحمد لله يا حبيبتي.

ودار بيننا حديث طويل، لكنني كنت أرى أن السائق ينظر إلي من وقت لآخر، لكنني لم أفهم هذه النظرات. وبدأ الخوف يملأ قلبي، وكنت أود أن أستوقفه، وأغلقت الخط مع والدتي؛ حتى لا تشعر بمدى خوفي من نبرة صوتي، وفور انتهاء المكالمة وجدت السائق يقول

لي: «فهمت من كلامك إنها والدتك، يا بختك بها»، فشعرت أنه يود أن يتحدث مع شخصٍ ما ويخرج ما بداخله، فنظرت إليه باهتمام أحثه على استكمال حديثه فاستكمل حديثه والدموع تترقرق في عينيه.

– عارفة يا آنسة، أنا أمي ماتت منذ عشر سنوات، كان عمري وقتها تسع سنوات وحتى الآن وعيني لم تجف من البكاء عليها، أتذكر تفاصيل موتها ولحظة خروج الروح منها، وأتذكر دائمًا التابوت الذي وضعت فيه، وصورتها لا تفارق خيالي، وأدعو لها دائمًا، وكم أتمنى أن أموت وألحقها.

أشتاق لها جدًا، وأريد أن أراها ولا أستطيع أن أعيش حياتي بصورة طبيعية منذ وفاتها إلى وقتنا هذا. أراها دائمًا أمامي، وذكرياتي معها لا تفارق خيالي. قبل وفاتها كانت بداخلي أحلام وطموحات كبيرة، لكن منذ وفاتها اسودت في عيني الحياة وأشعر أنه ليس هناك سببٌ للعيش لأجله، كنت متعلقًا بها لدرجة كبيرة وأغلبية وقتي كان معها.

وجدتُ نفسي أجيب عليه والدموع تغرق وجهي:

– ربنا يرحمها ويغفر لها ويسكنها فسيح جناته، وهي الآن في مكان أفضل من هذه الدنيا الفانية، ولكن عليك أن تفكر بإيجابية وتفعل أي شيء كانت تطلبه منك والدتك في حياتها مرارًا وتكرارًا، كأن تتخذ قرارًا بالنجاح وإكمال عمل الخير الذي كانت تفعله والدتك ولا تنهي عمل والدتك بالحزن والغم بل استكمل عملها في الدنيا بصدقة تخرجها على روحها أو زيارة لأحد أحبائها، وكلما شعرت بالوحدة والحزن، فكر بإيجابية وقم بعمل كانت تحبه ويرضيها.

فوجدته يبتسم لي وتفوه بعبارات امتنان وشكر على سماعي له وحديثي معه. مسحت دموعي التي لم أشعر بها وأنا أتحدث معه وتحدثت بتساؤل:

– من كلامك فهمت أن عندك تسعة عشر سنة؟

فأجابني بهدوء:

– فعلًا هذا عمري الآن.

فقلت له بفضول:

– إذن فلماذا تعمل على سيارة أجرة؟ يجب أن تستكمل تعليمك حتى تفرح والدتك بنجاحك.

أجابني بابتسامة:

– حسنًا، فأنا الآن طالب بكلية تجارة، لكن والدي مريض هذه الفترة. وأنا أعمل بدلًا منه حتى أستطيع أن أجمع بعضًا من النقود لمعالجته.

فأجبته بحزنٍ وشفقة:

– ربنا يتمم شفاه على خير.

وظللت أفكر في كيفية مساعدته، وأنا أشعر بالحزن الشديد وبالفخر أيضًا بهذا الشاب المتعاون المحب لوالده، ونظرت إلى الطريق بشرود وبعد مرور بضعة من الوقت، وجدته يخبرني بوصولي إلى منزلي فشكرته وأخرجت من حقيبتي مبلغًا من المال يعادل مائتين جنيهًا، فأخبرني بعدم وجود فكة معه، فابتسمت له وقلت:

– هذا المبلغ لك، ولو كان معي ما يزيد لأعطيته لك فنظر إلي نظرات خجلٍ، وكاد يرفض هذا المبلغ البسيط، لكنني طرقته وغادرت دون الاستماع له.

المخترع الصغير

بقلم: هدى مرسي.

كنت أسعد إنسانة في الكون يوم رزقني الله بمولودي الجميل، كدت أطير فرحًا، كنت أرى الكون كله في عينه الجميلة، وكنت أراقب حركته وسكناته بحب وسعادة، وما إن بدأ يكبر حتى شعرت أنه غير طبيعي وأن به أمر ما، ولكن ما هو؟ ذهبت به إلى الطبيب، وكانت الصدمة أنه مصاب بالتوحد، كاد قلبي ينفطر من الحزن والألم.. ماذا أفعل؟ إنه ابني الذي حلمت به لسنوات عديدة، وأتى بعد عذاب. يا الله! كم هذا مؤلمٌ! عدت من عند الطبيب ودموعي لا تجف، أخبرت زوجي بما حدث حزن كثيرًا وأصابه الإحباط واليأس، أبعدَ كل هذا العناء وكل هذه التكاليف وكل سنوات الانتظار يأتي الطفل الذي لطالما حلمنا به مصابًا بالتوحد؟ جلس زوجي مكانه من الصدمة، كان ينظر إلي وإلى الطفل، وظل هكذا لبعض الوقت ثم قال: «زوجتي الحبيبة لا يمكن أن نيأس أبدًا من رحمة الله، لقد مررنا بأكثر من ذلك. أتذكرين كم طبيب قال إننا لن ننجب أبدًا! ولكن الله منَّ علينا بعمر هذا الطفل الجميل، سنذهب إلى كل الأطباء وسنجد له علاج ولن نيأس أبدًا».

كنت أنظر إليه بتعجب، فقد كان يائس منذ قليل، لكن هذا هو زوجي، هذا ما أعرفه عنه، إنه لا ييأس أبدًا.

فابتسمت وقلت:

– نعم سنبدأ وبأمر الله سنجد.

وبدأنا رحلة البحث، وذهبنا إلى كل الأطباء، وبحثنا.. لكن دون فائدة، حتى آخر زيارة كنت بها عند الطبيب، وخرجت من عنده يائسة لا أمل لدي بشفائه انتهت الرحلة هنا، وأن أسير حزينة أجرُّ أذيال الخيبة والدموع تنهمر من عيني، رأيت امرأة تمسك يد ابنها.. إنه طفل متخلفًا عقليًّا، رأيت على وجهها سعادة ادهشتني؛ كيف لأم لديها مثل هذا الطفل أن تجد البسمة طريقًا لها؟ لاحظت الاندهاش على وجهي وكأنها فهمت ما يدور بعقلي، فنظرت إلي بابتسامة وربتت على كتفي قائلة:

– لا تتعجبي أبدًا، فأنا أحب هذا الطفل أكثر بكثير من أطفالي الآخرين، أتعلمين لماذا؟ لأنه مميزٌ، ميزه الله بفطرته النقية وقلبه الأبيض، إنه مثل تميمة الحظ، يجلب السعادة لكل مكان يدخله.. إن من لديه مثله ولا يعرف قيمته هو شخص بائس.

قالت المرأة الكلام وذهبت وكأنها ضربتني على رأسي وأفاقتني، بالفعل إنه مميز.. كيف لم أرَ ذلك؟! تغيرت نظرتي إليه وإلى الحياة، عدت للمنزل بسعادة كبيرة، حتى إن زوجي من سعادتي ظن أنني وجدت علاجًا له، ورأيت السؤال في عينيه فقررت أن أجيبه قبل أن يسأل قائلة:

– محسن.. أتعلم أننا رزقنا بطفل مميز.

محسن بتعجب:

– ماذا؟ لا أفهم قصدك يا إيمان؟

– اليوم تعلمت درس من أم لم أرَ مثلها وقد علمت أن عمر ابننا مميز.

محسن بشغف:

– إذن احكي لي ما حدث وماذا قالت لك هذه المرأة.

فقصصت عليه كل ما حدث فتهلل وجهه من السعادة قائلًا:

– أعتقد أن الله بعثها لنا لترشدنا الطريق الصحيح، فأتذكر أن الطبيب قال إن ابني مميزٌ، ولكن ميزته طغت على عقله ونحن سنستغل هذه الميزة لنجعل منه فرحتنا الكبيرة.

– معك حق زوجي الحبيب، سنتعلم كل شيء عن الأطفال أمثاله.

محسن بحيرة:

– ولكن من أين سنأتي بالمعلومات؟

– من الإنترنت، وسنعلم منه كل شيء، يمكننا به أن ننمي الشيء الذي نبغ فيه.

وبالفعل بدأ كلا الزوجين بالبحث في الإنترنت، وتعلما كل شيء، وبدءا بالفعل في تنميته حتى استطاع أن يخترع شيئًا لم يخترعه أحد قبله، واشتهر في العالم كله باسم المخترع الصغير، وأصبح بعد أن كان هذا الطفل همّهما مصدر فَخرهما، واستضافت أحد البرامج والدته لتكلمها عن تجربتها، وكيف حولته من طفل مصاب بالتوحد إلى مخترع صغير.

سألتها المذيعة:

– ما الكلمة التي تودِّي قولها لكل أم؟

إيمان بابتسامة:

– أولًا: أريد أن أشكر السيدة التي تعلمت منها هذا الدرس، هي لا تعرفني ولا أعرفها، لكنها غيرت نظرتي لهذا الطفل الذي كنت أراه معاناتي، ورأيت به نجاحي وسر سعادتي، وأقول لكل أم: «إياكِ أن تيأسي، تحملي واصبري وستصلين إلى كل ما تتمنيه، فأنت من تحولين طفلك، إما إلى عالم أو إلى طفل بائس».

أحبك... رفعت الجلسة

بقلم: سالي محمد.

في شرفة واسعة وأنيقة مليئة بالورود تجلس ندي تحتسي قهوتها برفقة أمها إحسان التي تجلس بجانبها تلح وتكرر في إلحاحها دون كلل أو ملل قائلة:

– اسمعي كلامي يا ندي، واطلبي الطلاق من ساهر، فهو ليس لكِ ولا أنتِ له.. هو له طباعه التي نشأ عليها وأنتِ لكِ طباعك ولن تتفقا أبدا والتجربة أثبتت صحة كلامي، فمنذ البداية قمت بنصحك كثيرًا، ولم تستمعي لنصائحي صدقيني الطلاق خير لكما.

صامته ندى تستمع لأمها بتشتت، وفجأة قالت ندى:

– كيف أطلب الطلاق ممن أحببت وعشقت منذ طفولتي ومراهقتي وشبابي، ساهر حب عمري وحلم حياتي.

نظرت إليها إحسان بسخرية قائلة في محاولة مستميتة منها لإثبات صحة آرائها:

– إذن لماذا غضبتِ وتركتِ منزلك ورجعتِ إلى هنا بعد زواج دام شهرين؛ مما جعل من سيرتك علكة في فم الأهل والمعارف والجيران؟ الجميع يتساءل بتشفي وشماتة، ترى ما هو سبب رجوع ندى لمنزل أهلها بعد شهرين زواج؟

هنا دمعت عينا ندى، ورجعت للوراء حيث الاستعداد للزواج وإعدادات يوم الزفاف، وتذكرت كيف كان ساهر مراعيًا وحنونًا يحافظ عليها من نسمة الهواء كما يقولون، وتذكرت وعوده لها بأن يضعها داخل قلبه ويحميها ويجعلها لا تشعر بشيء سوى السعادة وألا يجعل الدموع تعرف طريق عينيها الجميلتين وابتسمت ندى بحزن وأسى متذكرة يوم الزفاف، وغضب ساهر، وانفلات أعصابه وتهديده بإلغاء الزفاف؛ لأن فستانها من وجهة نظره موضح مفاتنها بشكل مستفز له كرجل يغار على زوجته، ولولا تدخل الأهل لانفضَّ اليوم بفضيحة لا يحمد عقباها، وبعد التوجه لقاعة الأفراح ظل جالسًا عابث الوجه حتى انقضاء اليوم، وكانت الطامة الكبرى عندما وصلا إلى شقتهما وفتح ودخل وتركها واقفة بمفردها أمام الباب خارج الشقة تكاد تبكي من شعورها بالحرج والخجل، فدخلت وأغلقت الباب خلفها ووقفت منتظرة أن يظهر ساهر ويكلمها أي كلمة تزيح عنها ما تشعر به من خجل، ولكنه لم يأتِ؛ فتوجهت بمفردها لغرفة النوم وجدته يخرج من الحمام مبدلًا ملابسه، وتوجه لسريره ونام. ظلت ندى تنظر إلى ساهر متمعنة فيه؛ هل هذا هو ساهر الذي عرفته لسنوات وعشقته منذ معرفة قلبها معنى العشق والهوى؟ لا.. ليس هو؛ فالآخر وعدها ألا تعرف الدموع طريق عينيها، ولكن ها هي تزرف الدموع طوال اليوم وهو لا يكترث لها، بل تظنه سعيدًا متشفيًا لدموعها هذه. أخيرًا أخذت ملابسها، وخرجت من الغرفة بدلت ملابسها ونامت على أريكة في الريسيبشن، وفي الصباح استيقظ ساهر بحث بعينيه عن ندى لم يجدها في الغرفة خرج من الغرفة، وجدها نائمة وملامحها كلها حزن

والدموع واضحة على وجهها اقترب منها، مسح دموعها بيده وسبَّ نفسه لتهوره وعصبيته المفرطة التي أبكت صغيرته مدللته، جلس بجانبها وقال:

- ندى ندى، استيقظي. استيقظت ندى من نومها، وجلست بجانبه وهي تنظر إلى الأرض، تحاول جاهدة أن تكبت أحزانها في قلبها ولا تظهرها له، فوجئت به يأخذها بين أحضانه ويضمها بشدة لصدره قائلًا:

- أنا أعتذر لكِ حبيبتي، كان غصب عني.. لقد هاج الدم في رأسي ولم أستطع كتم غضبي والسيطرة على أعصابي، فهيئتك في الفستان وهو يكشف مفاتنك والجميع ينظر إليكِ أصابني بالجنون فكرامتي لا تسمح أن تكون مفاتن زوجتي محط أنظار الجميع، فجمالك مهلك حد الجحيم، وعيونهم تقتنصك أمامي، لم أشعر بماذا قلت أو فعلت، أعتذر لكِ.

وقبلها من رأسها مربتا على كتفيها، فمسحت دموعها بيديها وقالت:

- لقد انهار يوم زفافي بسببك يا ساهر، حلم كل فتاة قمت أنت بتشويهه.

شعر بحزنها الذي قطع قلبه، فحاول التخفيف عنها قائلًا:

- لم ينهار يا حبيبتي، انهضي واغتسلي وتوضَّأي لنصلي ونبدأ حياتنا معًا من اليوم وليس الأمس.

هزت رأسها بموافقة، وقامت واغتسلت وتوضأت وصلا معًا وتناولا فطورهما، وبدأت حياتهما الزوجية الفعلية، ويوم وراء يوم

تزداد تحكمات ساهر؛ فهو لا يستطيع كبح جماح غيرته على ندى؛ مما أشعرها بالاختناق وتكررت الخلافات، فتركت له المنزل وذهبت إلى منزل والدها.

رجعت ندى من شرودها على صوت أمها:

- أطلبي الطلاق.. الحقي حياتك قبل أن تضيع منكِ هو مسيرة للزواج من أخرى ترتضي أوامره وترضخ له، وستظلين أنتِ كما البيت الوقف هنا.

اقتنعت ندى بكلام أمها وقالت:

- افعلوا ما تجدونه صوابًا.

وقامت وتركتها، وتوجهت لغرفتها وارتمت على سريرها تبكي وتتذكر ساهر وتتخيل زواجه من أخرى؛ فتأكلها نيران الغيرة. إذن فهي الأخرى تغار عليه.

توجه الأب مصطفى لمحامٍ كبير ليرفع لابنته دعوى الطلاق من زوجها ساهر، وقام المحامي باتخاذ الإجراءات اللازمة، وجاء يوم الجلسة التي ستحدد الحكم النهائي للقاضي في القضية، وكان القاضي رجلًا ذا خبرات حياتية وحنكة مهنية كبيرة، فاستمع القاضي لشهادة ساهر أولًا، فقال ساهر إنه لا يرغب في الطلاق ويريد الاحتفاظ بزوجته؛ لأنه يحبها ويحترمها ولكنه يغار عليها، وأنه سيحاول كبح جماح غيرته مستقبلًا لو وافقت على الرجوع إليه.

هنا طلب القاضي شهادة ندى، وقفت ندى خجلة ومتوترة، فقال لها القاضي:

- أمصممةٌ على طلب الطلاق يا ندى؟

حاولت ندى إخراج صوتها، فخرج مهتزًا رغمًا عنها وقالت:

– نعم.

هنا قال القاضي:

– إذن.. انظري في عيني ساهر وقولي له طلقني أنا لا أطيق العيش معك.

هنا انقطعت أنفاس ساهر وندى معًا، وتوقفت نبضات قلبيهما؛ فهو خائفٌ أن تطلب الطلاق أمام الحاضرين؛ لأنها لو فعلت لأصبح مضطرًا لتلبية طلبها سريعًا، فكرامته لا تسمح بخلاف ذلك. وهي خائفة لو طلبت الطلاق منه أن يلبي طلبها ويطلقها.

فكرر القاضي أمره لندى، فنظرت ندي إلى عيني ساهر وقالت:

– ساهر أنا...

وصمتت.

وساهر ناظر إليها بتوجس وخوف واضح للقاضي وللحاضرين جميعًا، فقالت ندى:

– ساهر.. أنا... أنا... بحبك. هنا نظر إليهما القاضي وعلى وجهه ابتسامة رضا واقتناع تام لما قام به من جمع شمل اثنين عاشقين كانا على وشك هدم حبهما بأيديهما، وقال بصوت جهوري رخيم:

– تم رفض الدعوى، رفعت الجلسة.

نارين

بقلم: أمل محمد.

كلٌّ منا بشكل أو بآخر يروي مع ذاته شفهيًا، أو كتابيًا، أو لأقرب الأشخاص لقلبه من يألفهم ويألفونه، وقد يكون هو ذاته محل رواية لأحدهم دون أن يعلم في أحد أيام الشتاء الممطرة، خرجت «نارين» من منزلها ترتدي ثوبًا يشبه بساطة قلبها، معطفًا أبيضَ وشالًا منقوشًا بالأزرق على عنقها، فالأبيض والأزرق من الألوان المحببة لقلبها نعم هي «نارين»، ذلك الاسم غير المعتاد حين رزقت أنفاسها الأولى في الحياة، أخبرتها والدتها ذات مرة أن هذا الاسم يحمل الكثير من المعاني السامية مثل العفة، والجمال فهو يعني من تسبح وتأتي من البحر؛ لذلك وجدت ذاتها تنتمي إلى اسمها بمرور الوقت وكأن بينهما تجاذب مغناطيسي يجذبها إليه، حقًا غالبًا ما نحمل من أسمائنا صفاتًا ننتمي إليها. سارت بين الطرقات ترتشف قهوتها تنظر في وجوه العائدين إلى منازلهم، فالأغلب منهم يختبئ من برودة الطقس، سيدة تحمل طفلها مسرعة خوفًا عليه من أن يناله أذًى مرضي، وآخر منتظر تحت لافتة مثبتة على جانبي الطريق من الواضح على هيئة أنه على موعد ولقاء مع محبوبته حدثت ذاتها، إذن لست وحدي عاشقة هذا الطقس فعشاقه كُثر. أكملت وجهتها مع نسمات الهواء، هدأ المطر وما زال يداعب الهواء وجهها ويتطاير شعرها الغجري حولها تهمس لذاتها: «هنيئًا لنا، لقد عاد طقسنا

المحبب»، فهذا هو الطقس المثالي لها تنتظر قدومه دائمًا وبشدة فهو بمثابة النجاة لروحها المعلقة بين فصول العام، وكعادتها كل غروب تجد ساقيها تجذبها إلى شاطئ البحر تتمعن في نظراتها إلى لسماء، وتراقب السحب لعلها تجدها تكونت في أشكال تهوها منذ الصغر وتظل تراقب هذا الغروب بصمت كل شيء من حولها ساكن هادئ ما عدا ارتطام الأمواج بالشاطئ في جلسة كهذه، تخرج من حقيبتها ما يؤنس هذا المنظر، تحدث ذاتها في ورقيات صغيرة وتكتب: «أيهما أعمق حبًا يا ترى، حب العقل أم القلب؟ أيّ حب تهواه الذات وتؤنسه»!

جال في ذاكرتها الكثير من الخواطر: «نعم، إذن هو حب الروح» وما زالت تتحدث مع ورقياتها الصغيرة إلى أن قاطع هذا الهدوء الساحر ذبذبات الهاتف، ولكن ليست كل الأشياء في استطاعتها تعويضها إلا هذا الهدوء، أي عاقل يستجيب لرنات هذا الجماد في وقت مثل هذا، أغلقت هاتفها وتأملت أوراقها شاردة الذهن «حب الروح»، ولكن كيف نجده هذا في عالم لا يبالي بمعنى الكلمة نفسها في عالم لا يهتم سوى بالشكليات، والمظاهر الخادعة في عالم لا يرى سوى في المظاهر الاجتماعية علامة برَّاقة له وأيّ الماركات التجارية ترتدي، وما آل إليه حسابك البنكي، أما عن «الروح» فمكانها فقط في صفحات الروايات، وبين جدران المكتبات تائهة داخل كتب لا ترى ماذا عن الروح التي نبحث عنها هو ذلك الإحساس الذي يسيطر على كيانك أجمع؛ عقلًا، وقلبًا. نعم هو فكرٌ يحتويك دون أن تدري، ما بك؟ هل هو مسٌّ شيطاني أصابك يجذبك إلى الطرف الآخر دون استطاعتك التحكم لهذه الدرجة في ذاتك؟ أم هو سلب واستيلاء

كلي لنفسك وروحك وأنفاسك؟ لا تجد له أيّ منطق عقلي ولا تجد له أي تفسير منطقي، فلا عقل يحكم ولا منطق يفسر. أيّ روح هذه سلبت روحي معاها؟

عندما تفكر بعقلك وتحكم ترى عيوبًا وتتدركها، ولكنك تتغاضى عنها تراها وتعلم بها، وبداخلك استسلام روحاني نعم هي من سلبت روحي مني، أما عن القلب فلا يستطيع التحكم في نبضاته لها يأتيه يقين أنه ينبض من أجلها فقط دون سواها، تتحدث لقلبك: «اهدأ أيها القلب، فما زلت لا تعلم حقيقة المشاعر الأخرى تجاهك» ومع هذا الإبهام القلب مطمئن، نعم هي الروح التي يبحث عنها في كل مكان، فالعين ترى وجوهًا كثيرة، ولكن لا سلطة ولا سلطان على قلب ينبض، وروح تشعر، ظلت هائمة بين السماء، وأمواج البحر لدقائق دونت «نارين» كل هذا في ورقيات صغيرة ونظرت للسماء والسحب أين يا ترى روحي التائهة عني! ما زالت تبحث لتجدني أم أنها قريبة مني ولا أشعر بها. ولكن أي قرب أو بعد فالروح ستجد قلبي مهما تباعدت المسافات، فلا سلطان ولا قوة على عشق الروح، وما أصدقه من عشق عندما يلامس أبواب قلبك ويهدم حصنك المنيع أدخلت أوراقها في حقيبتها ونظرت للبحر والسماء، ألقاكم في الغد، فلقاءاتي معكم لن تنتهي بعد. تمت.

لم تكن نهاية حياتي

بقلم: ندى محمود.

المقدمة...

بداخلي أمل كبير لم ينقص مع مرور الزمن بل يزداد، فأنا بنت حواء لم تتوقف حياتها بسبب الطلاق، بل هذا ما جعلني أقوى من قبل، تقدمت كثيرًا بحياتي المهنية؛ لذلك أكون دائمًا شاكرة لربي؛ فجعلني أحيا بحرية؛ حتى لا يوجد شخصًا يعكر صفو تقدمي بالحياة.

——— — ———

تقف امرأة على منصة موجودة بجامعة القاهرة لكلية الآداب قسم تاريخ وتنظر إلى جميع الطلاب الذين يملؤون المكان من حولها بثقة شديدة اكتسبتها مع مرور الزمن الذي عانت به كثيرًا؛ ويتضح كم المعاناة التي حينها بوجهها فيرتسم عليه خطوط، وكل خط له قصة مختلفة عانت بسببها، ولكن الآن هي فخورة بنفسها، وحققت هدفها الأساسي من الحياة. بدأت بالحديث مع الطلاب لتلقن لهم المحاضرة اليومية، وبعد انتهائها كان متبقي من وقت انتهاء المحاضرة ساعة، فقررت استغلالها بشيء مفيد من الممكن أن يستفاد منه البعض وهو أن تتحدث عن جزء صغير بحياتها ابتسمت بثقة لهم؛ لتبدأ حديثها، ولكن في ذلك الوقت اندمجت كثيرًا لتتحدث عن معاناتها مع الطلاق، وتذكرت بعد انتهاء ذلك اليوم كم البكاء الذي أضعف قلبها كثيرًا فهي لم تحظَ بزوج مثالي، كان شخصية ليست

بجيدة، تزوجها من أجل أموالها التي ستجلبها له من عملها المربح، وما إن وجدته هكذا قررت التحامل، فهي في بداية زواجها ولم يصلح بذلك المجتمع طلاق المرأة بذلك الوقت ستتكاثر الأحاديث عليها وهي لا تريد أن تكون محط للشفقة، والسخرية، والشماتة وحديث من قيل. وقال إلى أن ملت من تلك الحياه؛ لتقرر الانفصال وهي بعمر صغير؛ لتحيا بذلك المجتمع الذى يهاجمها وكأنها المذنبة بمفردها والدتها كانت تريد منها أن تتوقف عن عملها؛ لتمنع ألسنة البشر وأن لا يقول أحدهم كلمة عنها ولكنها رفضت ذلك بشدة، فكانت إذا تأخرت ولو قليلا تجد نظرات الجيرة ردًا على تأخيرها، وعند تقدم العمر بها وأصبحت ناضجة بالخمسة والثلاثين، وفى ذلك الوقت تقدمت كثيرًا بعملها ولكن أصبحت تعاني أكثر فجميع النساء تخاف على أزواجها منها فمن وجهة نظرهم ستكون هي سبب في مشاجرات بينهم لأنها ليست بالقبيحة، ولكنها واجهت كل ذلك وتحدت جميع الصعاب لتثبت للجميع أن انتهاء دورها بالزواج لا يعنى انتهاء دورها بالحياة، فأصبحت الآن «الدكتورة عزة بشندي» الجميع يكن لها الاحترام، وبالنسبة إلى طلاب الجامعة فهي أم ثانية لهم، لم تنجب فردًا أو فردين بل أنجبت أجيالًا.

فاقت من شرودها على صوت تصفيق الطلاب الحار؛ لتنتبه هي لنفسها فهي سردت ما شردت به، لتفر دمعة بسيطة من أعينها وتنظر إلى طلبها قائلة لهم بابتسامتها التي لم يخفِها الزمن: «ونصيحتي لكم هي أن تختار كل فتاة الشخص الصحيح الذي لا يجعلها نادمة أبدًا، والشاب يختار الفتاة العفيفة التي ستحمي بيته وتصونه وأولاده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

القانون يحكم

بقلم: كلارا ميلاد.

-1-

«الألقاب المزيفة، وسبوبة التكريمات الوهمية»

انتشرت في السنوات الأخيرة في مصر العديد من الكيانات الوهمية، التي تتدعي أنها تابعة لمنظمات دولية عالمية، وأيضًا إقليمية.

وتقوم بالترويج لنفسها على أنها منظمة معترف بها أو لها صفة التحكيم الدولي، التي يجعل لها الحق في منح الألقاب الرفيعة مثل:

سفير النوايا الحسنة، وسفير الاقتصاد، والمحكم الدولي ومنح الكارنيهات المزيفة، ذات الأختام المزورة بل وأيضًا منح الدكتوراة الفخرية، والدروع، والتكريمات، التي تحمل العديد من الأختام، والشعارات للجامعات العريقة، بالادعاء باطلًا أن هذه التكريمات، تم منحها من إحدى الجامعات الكبرى عالميًا، ويحدث كل ذلك في مقابل دفع مبالغ مالية من الراغبين؛ للحصول على هذه الألقاب إلى المزورين أصحاب سبوبة التكريمات الوهمية.

فهل يعقل بأن تتم التجارة بألقاب بذَلَ الكثير منا الجهد، والوقت، والمثابرة، والجد؛ كي يحصل عليها رسميًا؛ ليأتي لنا تجار الوهم ويفقدوننا قيمة العلم، والاجتهاد وينشرون الجهل، والتزوير مقابل بعض المال.

ومن المؤسف فإننا لا نعرف شيئًا عن ثقافة التحري؛ للتأكد من هل إن كانت هذه الكيانات حقيقية، ورسمية بالفعل أم وهمية؟

ولذلك فإننا نجد أنفسنا في نهاية المطاف وسط كيانات مبهمة، هدفها هو النصب، والاحتيال، ومن هنا نستطيع أن نقول أن جريمة «انتحال الصفة» ترتبط ارتباطًا وثيقًا بجرائم التزوير.

وقد وضع القانون المصري عقوبات غليظة على تهمة انتحال الصفة، وإليكم بعضها:

المادة رقم 155 في قانون العقوبات المصري، والتي تنص على «كل من تدخل في وظيفة من الوظائف العمومية، ملكية كانت، أو عسكرية، من غير أن تكون له صفة رسمية من الحكومة، أو إذن منها بذلك، أو أجرى عملًا من مقتضيات إحدى هذه الوظائف، يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنتين».

وأيضًا المادة رقم ،156 والتي تنص على «كل من لبس علانية كسوة غير رسمية بغير أن يكون حائزًا للرتبة التي تخوله، أو حمل علانية العلامة المميزة لعمل، أو وظيفة من غير حق، يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنتين، ومع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد منصوص عليها في قانون آخر تكون العقوبة السجن المشدد لمدة سبع سنوات، إذا وقعت الجريمة لغرض إرهابي، أو أثناء حالة الحرب، أو إعلان حالة الطوارئ أو اشتراك في تظاهر».

وأما عن جريمة «التزوير» فقد وضع القانون المصري عقوبات غليظة، وإليكم بعضها:

المادة رقم 206 في قانون العقوبات المصري، والتي تنص على:

«أنه يعاقب بالحبس، أو السجن 5 سنوات، كل من زور الأوراق الرسمية، أو قلد الأختام الرسمية الحكومية، وهكذا كل من استعمل هذه الأشياء، أو أدخلها في البلاد المصرية مع علمه بتقليدها، أو بتزويرها ومنها؛ أمر جمهوري، أو قانون، أو مرسوم، أو قرار صادر من الحكومة، أو خاتم الدولة، أو علامات إحدى المصالح، أو إحدى جهات الحكومة، ختم، أو إمضاء، أو علامة أحد موظفي الحكومة، أو أوراق مرتبات، أو بونات، أو سندات أخرى صادرة من خزانة الحكومة، أو فروعها وكذلك دمغات الذهب، أو الفضة».

وأخيرًا فإننا نناشد الأجهزة الأمنية بتشديد الرقابة على مثل هذه المؤسسات الوهمية، وعلى عمليات التكريم التي تقام في الفنادق في مصر، كما نناشد السادة المواطنين بضرورة التعاون مع أجهزة الأمن لمساعدتهم بالإيقاع بمثل تلك العصابات، والإبلاغ الفوري عن أيّ عملية نصب يتعرضوا إليها، وإليكم الأرقام والخطوط الساخنة وطرق التواصل مع مباحث الأموال العامة:

تليفون تلقي كافة البلاغات: 27921396 02 / 27921395 02

الفاكس: 27922389 02/ بريد إلكتروني: Fasad@amwal.gov.eg

–2–

أنت ما تعرفش أنا مين؟

ربما تتردد تلك الجملة أمامنا جميعًا، وبشكل شبه دائم حيث عادة ما يتفوه بها قلة قليلة من ذوات المناصب الرفيعة، أصحاب العقول الناقصة، هؤلاء الذين تأخذهم العظمة أحيانًا،

فيشعرون أنهم أعلى من غيرهم بل وفوق القانون أيضًا، وبدلًا من أن يستخدموا سُلطتهم في نصرة المظلومين، أو مساعدة من فقدوا حقوقهم، ويقدموا لهم يد العون لاسترداد ما لهم من حقوق، تطور الأمر؛ ليستخدم بعضٌ من أصحاب السلطة نفوذهم استخدامًا خاطئًا، بل وقاموا بتغيير مفهومها، فبدلًا من أن يكون صاحب السلطة هم والقانون وجهان لعملة واحدة، وصل الأمر؛ لتحديهم القانون أحيانًا ضاربين به عرض الحائط.

ولكننا لا ننكر أن هناك علي الجانب الآخر شعاعَ نور يبعث الأمل، إنهم هؤلاء الشرفاء الذين يطبقون القانون ولو علي أنفسهم ممن يحترمون آداب، وشرف وظيفتهم المهنية، ولا يبتغون سلطاتهم في تنفيذ مصالحهم، وأهوائهم الشخصية، فهم يقدمون ما يرضى الله، ويريح ضميرهم، يتذكرون دائمًا اليمين الذي أقسموه في بداية حياتهم بأن يؤدوا عملهم بالذمة، والصدق، وأن يحكموا بين الناس بالعدل، والمساواة لا بالمحاباة.

في الواقع لا نؤمن بالأخطاء الفردية التي دائمًا ما يتم تسليط الضوء عليها من قبل الغير حياديين، وأصحاب النوايا السيئة، فيشيروا إليها وكأن هذا هو حال المجتمع، يسيروا بمبدأ السيئة تعم بل تعيب البلد ككل.

لقد نسوا أن بداخل كل مؤسسة الجيد والسيء، بل في كل بيت هناك الطيب والشرير، وكذلك في جميع مجالات الحياة نجد هذين العنصرين من الناس، الذين قد ذكرناهم من قبل، ولكن كوننا لا نثق في بعض من ذوات المناصب معدومي الضمير، لا يعيب مؤسسات الدولة وقانونها، فنحن علي قدرٍ كبير من الثقة في القانون المصري،

والقضاء الذي يحمي مجتمعنا من أصحاب العقول الفارغة الذين انتهزوا صفتهم الوظيفية، وساروا نحو مسار خاطئ يبعد كل البعد عن شرف وآداب المهنة العامة، وأصبحوا يتسلطون على الآخرين، بل ويستبيحون حقوق الغير، ويتعدّون عليها.

ونحن هنا في موقع مبتدأ نوضح لكم العقوبة القانونية لجريمة استغلال النفوذ الوظيفية في القانون المصري.

ونجد هذا في المادة رقم 104 من قانون العقوبات، والتي تنص على كل شخصٍ طلبٌ لنفسه، أو لغيره، أو قبل، أو أخذ وعدًا، أو عطية؛ لاستعمال نفوذ حقيقي، أو مزعوم؛ للحصول، أو لمحاولة الحصول من أية سلطة عامة على أعمال، أو أوامر، أو أحكام، أو قرارات، أو نياشين، أو التزام، أو ترخيص، أو اتفاق توريد، أو مقاولة، أو على وظيفة، أو خدمة، أو أية ميزة من أي نوع يعد في حكم «المرتشي» ويعاقب بالحبس وبالغرامة.

ونأمل أن تقوم الدولة بردع هؤلاء عن طريق تغليظ العقوبة بشكل أكثر صرامة على مستغلي النفوذ الوظيفية، كما أناشد كل مؤسسات الدولة الشريفة، التي تعمل بجد، واجتهاد، وبتطهير أنفسها من كل هذه السموم المتمثلة في تلك الأشخاص، الذين يعدوا وصمة عار على المجتمع كله، هؤلاء بمثابة وصمة عار على مؤسسات الدولة، فكيف لشخص أهمل بيته وفشل في تربية أبنائه على الأخلاق والقيم الحميدة، أن يقوم بالتحكم في مصالح الناس ومصائرهم، فمن يرد بناء أمة وتصحيح مسارهم والحكم بينهم، عليه أن يبدأ ببناء نفسه...

وبيته أولًا.

–3–

«قانون الغلابة»

– محمد الغلبان ومدير المدرسة.

في مثل هذا اليوم، وبالتحديد العام الماضي، ذكَّرني موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» بقصة «محمد الغلبان» لم تتغير ملامحه كثيرًا وكذلك وجهه المبتسم الذي لم أره قافلًا يلعن حياته إلا مرة واحدة، فبادرتُ بالسؤال عن أحواله «مالك يا عم محمد خير طمنا عليك»؛ ليرد بتلقائية موجعة وبكلمات مختصرة أصابت قلبي، ولكنني استطعت أن أخفي عنه دموع عيني، التي احتبست بداخلها، وصمدت حتي أعرف ما الذي أثَّر في الرجل الطيب؛ حتي جعله يكره حياته إلي هذا الحد.

وكانت القصة تدور حول ابنته، حيث طلب منه مدير إحدى المدارس الحكومية مبلغ مادي على سبيل التبرع للمدرسة؛ لشراء مستلزمات مثل «مقاعد للطلبة، وصنابير لدورات المياه» رغم أنَّ تلك المبالغ توفرها وزارة التربية والتعليم من ميزانية الدولة، ولكنني لم أتفوه بكلمة حتى أعرف القصة كاملة؛ ليختم الرجل حديثه قائلًا: «وقال لي كدا بالنص يا هانم، هتدفع 500ج هقبل ورق بنتك، مش هتدفع خليها قاعدة جانبك في البيت».

فما كان مني إلا أن أرشدت حارس العقار المسن.

– طيب يا عم محمد وسكت له ليه؟ بكرة تطلع على الإدارة التعليمية، وتحكيلهم القصة، وأنا هكلمهم هناك وأوصي عليك، وهيعملوا لك اللازم.

وفي الواقع لم أكن أعرف أحد بتلك الإدارة التعليمية ولكنني أعرف قانون بلدي جيدًا، والذي ينص على أن المصروفات تحددها الوزارة بالمدارس الحكومية، ولا يتم دفع أيّ مبالغ إضافية؛ لأنه لا يوجد تشريع واحد في مواد الدستور المصري يحتوي علي قانون واحد يتطلب من أولياء أمور طلاب المدارس بالتبرع بالمال لأيّ احتياجات مديرية، وبالتالي لا تملك المدرسة الحق، ليس فقط في الطلب ولكن حتى في جمع الأموال من أولياء الأمور، خلاف ذلك، سيكون حول الابتزاز والرشوة.

وعقوبة الرشوة كما نصت مواد قانون الجنايات، وعلى الأخص المواد 103، 104، 105، 106، 107، 108 من قانون العقوبات والتي تصل فيها العقوبة إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، وبغرامات لا تقل عن ألف جنية ولا تزيد على ما عطى أو وعد به.

ومن هنا قررت أن أرفع دعوى قضائية على مدير المدرسة، والإدارة التعليمية بأنه إذا لم يتم حل مشكلة «محمد الغلبان».

وها هو صباح يوم جديد، وبمجرد الوصول إلى باب الخروج قابلنى عم محمد بابتسامته المعتادة، ولكن في هذه المرة ارتفع وعيه كثيرًا، وألقى عليّ تحية الصباح قائلًا: «صباح الفل يا ست هانم كدة تعملي فيا مقلب، بس ربنا يباركلك والله شجعتيني، أنا رُحت الإدارة قلت لهم إني تبعك، لكن قالوا لي ما نعرفهاش، بس لما حكيت لهم على المشكلة بتاعتي حلوها في وقتها، وكدا خلاص بنتي قدمت في المدرسة، وهتقدر تكمل تعليمها».

نعم صدق الرجل، وكذبت أنا، ولكنها كانت كذبة بيضاء؛ حتى لا يخشى «الغلبان» أن يطالب بحقوقه في دولة القانون.

فهرس الكتاب

إهداء.. 7

المقدمة.. 9

1 – س 11

2– مملكة الحواتم.. 73

3– «هكذا أحببتها» 109

4–فيسبوكي 127

بقلمكم 155

شاركنا برأيك...192

شاركنا برأيك

أي القصص أعجبتك أكثر من غيرها، وما هو تقييمك لها؟

ما هي مقترحاتك للارتقاء بمجموعتك القصصية «دراماتوكسين» في الأجزاء القادمة؟

ما هي نوعية القصص التي تحب أن تقرأ عنها مستقبلًا؟

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....